مَن فَاتَهُ بِرُّ وَالِدَيْه !

وفضل بر الوالدين، والتحذير من عقوقها

مجدى محمد الشهاوى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع

المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر

تليفون: ٢٥٧٨٨٢

تقديم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . . ، فإنه مَن يهده الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً النبى ﷺ عبده ورسوله . . ، وبعد . .

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهَدْى، هَدْى محمد النبى ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[١].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومَن يُطِع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [٣].

ثم أما بعد:

فإن بر الوالدين من أعظم المعانى الإنسانية التى جاءت بها رسالة الإسلام وتعاليم القرآن وسنة المصطفى ﷺ. . ، ولا شك أن صلة الرحم وحُسن معاملة الأبوين وطاعتهما فيما أمرا به ـ مما يوافق الشرع ـ من أعظم القربات والعبادات إلى الله تبارك وتعالى.

وقد جاء الأمر ببرهما فى القرآن الكريم وفى حديث المعصوم ﷺ كما هو معروف، وعلى النحو الذى سنقررة فى موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى وبعونه وتوفيقه.

وفى هذه الدراسة الموجزة نتناول موضوع «بر الوالدين» من كافة جوانبه، وقد

(١) آل عمران: ١٠٢.   (٢) النساء : ١.   (٣) الأحزاب: ٧٠ـ ٧١.

قَسَّمتُ هذه الدراسة إلى **ستة فصول** صغيرة:

الفصـل الأول: فى بيان الأمر ببر الوالدين فى محكم التنزيل وحديث المصطفى ﷺ، وبيان أن برهما من أحب الأعمال إلى الله عز وجل.

الفصـل الثانى: فى بيان تقديم الأم بالبر والطاعة، وبيان سبب ذلك.

الفصـل الثالث: فى بيان بعض الفوائد والثمار التى يجنيها العبد من بره لوالديه.

الفـصل الرابع: فى بيان لصور بر الوالدين كما فعلها السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

الفصل الخامس: فى التحذير من عقوق الوالدين، وصور العقوق، وعقوبة العاق لوالديه.

الفصل السادس: فى إرشاد مَن فاته بر والديه إلى السبيل الذى يبر والديه به بعد موتهما.

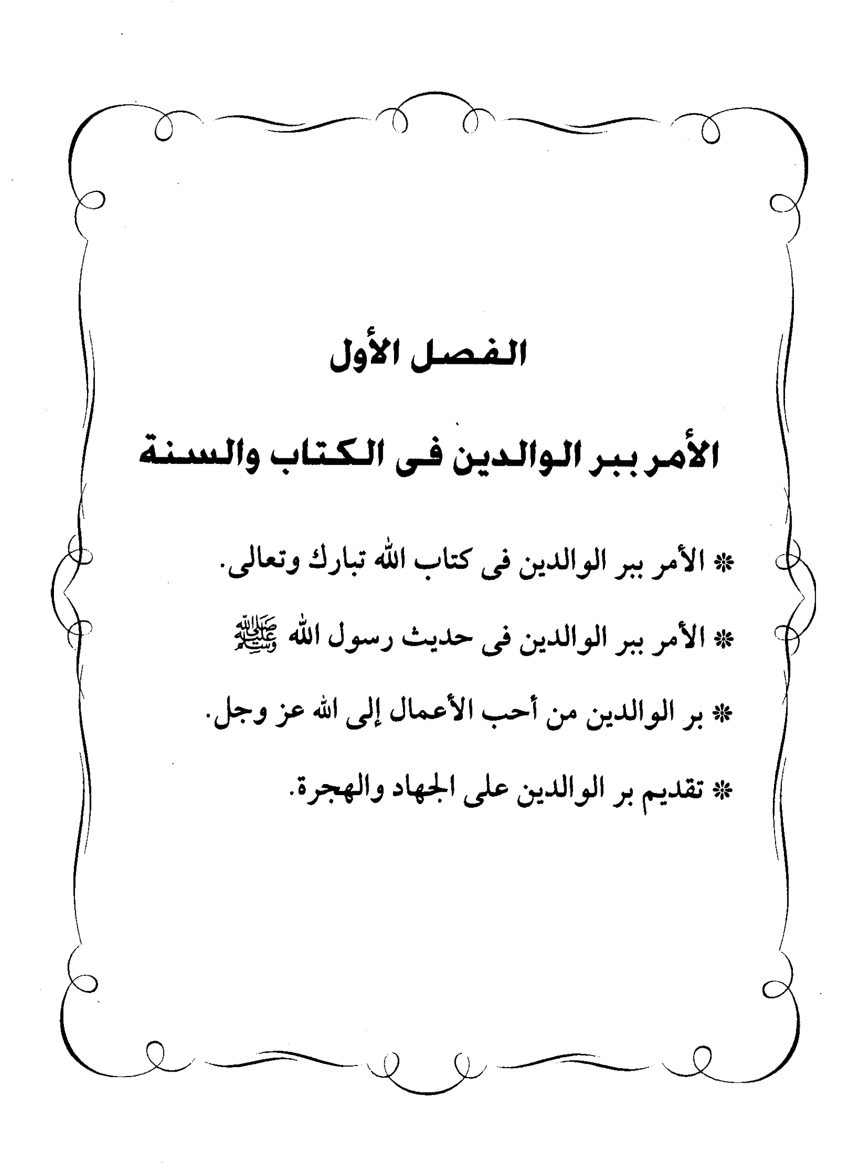
وأسأل الله تبارك وتعالى، العفو. والعون، والتوفيق. . .، إنه ولى ذلك، وهو القادر عليه، وصلى الله على محمد النبى المعصوم ﷺ مُعَلِّم الإنسانية الخير، والله المستعان.

مجدى محمد الشهاوى

شرباص. فارسكور. دمياط

بريد ٣٤٧٢١

هاتف ٤٤٦٧٨٩ (٥٧).



الفصل الأول

الأمر ببر الوالدين فى الكتاب والسنة

* الأمر ببر الوالدين فى كتاب الله تبارك وتعالى.
* الأمر ببر الوالدين فى حديث رسول الله ﷺ
* بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله عز وجل.
* تقديم بر الوالدين على الجهاد والهجرة.

الأمر ببر الوالدين فى كتاب الله تبارك وتعالى

قال تعالى فى محكم كتابه: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكِبَرَ أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾[1].

وقال: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىَّ المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تُطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا**﴾[2].

فى الآيات الأولى: ﴿قضى﴾ أى أَمَرَ وألزم وأوجب..، وليس هذا قضاء حُكم بل هو قضاء أمر..، قال أهل العلم: القضاء فى اللغة يُستعمل على وجوه؛ فالقضاء بمعنى الأمر كما فى الآيات..، والقضاء بمعنى الخلق كما فى قوله تعالى: ﴿**فقضاهن سبع سماوات**﴾[3]، والقضاء بمعنى الحُكم كما فى قوله: ﴿**فاقض ما أنت قاض**﴾[4]، والقضاء بمعنى الفراغ كما فى قوله: ﴿**قُضى الأمر الذى فيه تستفتيان**﴾[5] أى فُرغ منه، ومنه قوله تعالى: ﴿**فإذا قضيتم مناسككم**﴾[6] أى فرغتم منها، والقضاء بمعنى الإرادة، كما فى قوله تعالى: ﴿**إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون**﴾[7]، والقضاء بمعنى العهد كقوله تعالى: ﴿**وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر**﴾[8].

وقد أمر سبحانه وتعالى بعبادته وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقروناً بذلك، كما قرن ـ فى الآيات الثانية ـ شكرهما بشكره[9].

وأما قوله ﴿**ولا تقل لهما أُفٍّ**﴾ ففى معنى ﴿أف﴾ خمسة أقوال ـ حكاها ابن عباس ـ وهى:

---

(١) الإسراء: ٢٣ـ ٢٤. (٢) لقمان: ١٤ـ ١٥. (٣) فصلت: ١٢.
(٤) طه: ٧٢. (٥) يوسف: ٤١. (٦) البقرة: ٢٠٠
(٧) آل عمران: ٤٧. (٨) القصص: ٤٤.
(٩) يُراجع فيما كتبناه تفسير القرطبى (١٠/ ١٥٥ـ ١٥٦)، وابن كثير (٣/ ٣٥).

الأول: وسخ الظفر ـ قاله الخليل.

والثانى: وسخ الآذان ـ قاله الأصمعى.

والثالث: قُلامة الظفر ـ قاله ثعلب.

والرابع: الأف: الاحتقار والاستصغار، من الأَفَف، والأَفَفُ عند العرب القِلَّة ـ ذكره ابن الأنبارى.

والخامس: الأُفُّ: ما رفعته من الأرض من عود وقصبة ـ حكاه ابن فارس.

والتأفيف: هو أدنى مراتب القول السيء . . .، وفى معنى ﴿أف﴾ أقوال أخرى كثيرة غير ما ذكرناه[1].

*****

الأمر ببر الوالدين فى حديث رسول الله ﷺ

الأحاديث عن رسول الله ﷺ فى الأمر ببر الوالدين ـ كثيرة ومنها:

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى عن معاذ بن جبل قال: أوصانى رسول الله ﷺ: « **لا تعق والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك**» [2].

وعن عبد الله بن عمر قال: كانت تحتى امرأة وكنتُ أحبها، وكان عمر يكرهها، فقال طَلِّقها، فَأَبَيْتُ، فأتى عمر النبى ﷺ فقال: « **أطِع أباك**»[3].

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تَعْصِ والديك وإن أمراك أن تخرج من الدنيا كلها**» [4].

---

(١) انظر للمزيد: تفسير ابن كثير (٣/٣٥)، القرطبى (١٠/١٥٨ـ ١٥٩) لسان العرب (ص٩٥)، الصحاح (٤/٣٣١)، النهاية (١/١٥٥)، معجم مقاييس اللغة (١/١٧)، ترتيب القاموس (١/١٥٩)، تهذيب اللغة (١٥/٥٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٣٨)، والطبرانى فى الكبير، ورجل أحمد ثقات إلا أن عبد الرحمن لم يسمع من معاذ [مجمع الزوائد (٤/٢١٥)].

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠)، وأبو داود (٥١٣٨)، والترمذى (١١٨٩) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢٠٨٨)، وابن حبان (٤٢٨ـ إحسان)، والحاكم (٤/١٥٣) وصححه هو والذهبى.

(٤) رواه الطبرانى وفيه سلمة بن شريح قال الذهبى: لا يُعرف وبقية رجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٤/٥٦)].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم**» [(١)].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَجْزى وَلَدٌ والديه إلا أن يجدهما مملوكين فيشتريهما فيعتقهما**» [(٢)] والمعنى أن الولد لا يكافىء أبويه بإحسانه وقضاء حقهما إلا أن يعتقهما لو كانا مملوكين .

وستأتى أحاديث أخرى إن شاء الله فى الأمر ببر الوالدين وفضل ذلك والتحذير من عقوقهما فى موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى.

*****

بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله عز وجل

عن أبى عمرو الشيبانى قال: حدثنى صاحب هذه الدَّار وأشار إلى دار عبد الله بن مسعود ـ قال: سألتُ النبى ﷺ: أىُّ العمل أَحَبُّ إلى الله؟.

قال: « **الصلاة لوقتها**».

قال: ثم أىُّ؟!.

قال: «**ثم بر الوالدين**».

قال: ثم أىُّ؟!.

قال: « **الجهاد فى سبيل الله**».

قال ابن مسعود: حَدَّثَنى بهن، ولو استَزَدْتُه لزادنى [(٣)].

وفى هذا الحديث فضل تعظيم بر الوالدين، وأن برهما من أحب الأعمال إلى الله عز وجل بعد أداء الصلاة لوقتها، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ١٥٤) وصححه، وتعقبه الذهبى فقال: فيه سويد وهو ضعيف، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (٨/ ١٤١) عن ابن عمر، وهو ما حَسَّن المنذرى إسناده فى الترغيب والترهيب (٢/ ٢١٥).

(٢) رواه مسلم (١٥١٠)، وأبو داود (٥١٣٧)، والترمذى (١٩٠٦)، وابن ماجه (٣٦٥٩)، وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٢٦٣، ٣٧٦، ٤٤٥)، والبيهقى فى سننه (١٠/ ٢٨٩)، وفى شعب الايمان (٧٨٤٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ٣٤٥).

(٣) البخارى (٥٢٧)، مسلم (٨٥)، والترمذى (١٧٣)، والنسائى (١/ ٢٩٢)، والحاكم (١/ ١٨٨، ١٨٩)، وأحمد (١/ ٤١٨، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥١).

تقديم بر الوالدين على الجهاد والهجرة

عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ يستأذنه فى الجهاد، فقال له رسول الله ﷺ: « **أَحَيٌّ والدك؟** ». قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»[١].

وعنه أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ يبايعه، فقال: جئتُ لأبايعك على الهجرة وتركتُ أبويَّ يبكيان، فقال ﷺ: « **فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما** »[٣].

وفى رواية عن أبى سعيد الخدرى أنه ﷺ قال له: «**هل لك أحد باليمن؟**» قال: أبواى قال: «**أذنا لك؟**»، قال: لا، قال: «**ارجع فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فَبِرَّهما**»[٣].

وفى الحديث أن بر الوالد قد يكون أفضل الجهاد.

قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع منه الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مُسْلِمَيْن، لأن برهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية فإذا تَعَيَّن الجهاد[٤] فلا إذن، ويشهد له ما أخرجه ابن حبان عن ابن عمرو من طريق أخرى قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن أفضل الأعمال.

فقال ﷺ: « **الصلاة** ».

قال: نعم مه؟.

قال: « **الجهاد** ».

قال: فإن لى والدين.

فقال: « **آمُرك بوالديك خيراً** ».

فقال: والذى بعثك بالحق نبيا لأجاهدن ولأتركنهما.

قال ﷺ: « **فأنت أعلم** »[٥].

وهذا محمول على جهاد فرض العين توفيقاً بين الحديثين[٦].

---

(١) رواه البخارى (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩)، وأحمد (٢/ ١٦٤، ١٦٥، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٧، ٢٢١)، وأبو داود (٢٥٢٥) وابن حبان (٤٢١).

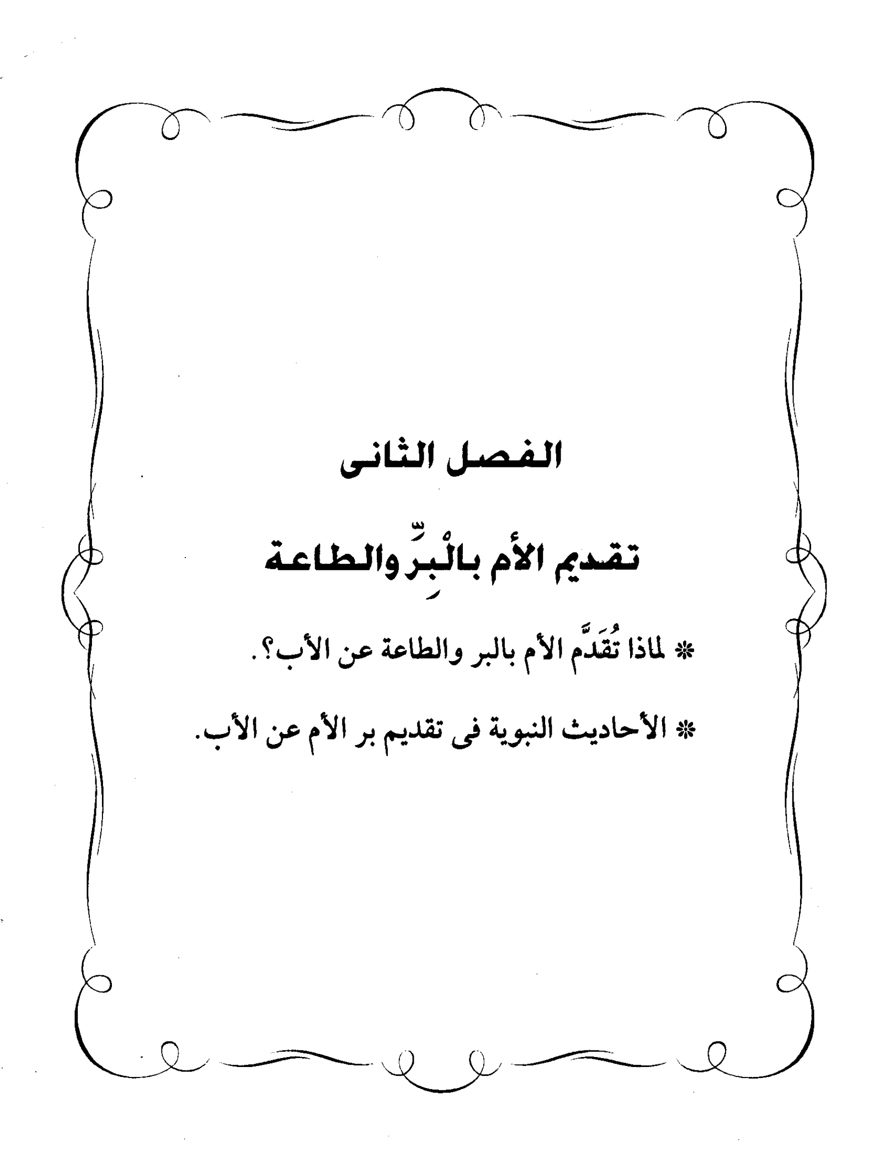
(٢) رواه أحمد (٢/ ١٦٠، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٤)، وأبو داود (٢٥٢٨)، والنسائى (٧/ ١٤٣)، وابن ماجه (٢٧٨٢)، والحاكم (٤/ ١٥٢)، وابن حبان (٤٢٤).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٧٦) وأبو داود (٢٥٣٠)، وابن حبان (٤٢٣).

(٤) أى إذا كان الجهاد فرض عين.

(٥) ابن حبان (١٧١٩).

(٦) فتح البارى (٦/ ١٦٣).



الفصل الثانى

تقديم الأم بالْبِرِّ والطاعة

* لماذا تُقَدَّم الأم بالبر والطاعة عن الأب؟.

* الأحاديث النبوية فى تقديم بر الأم عن الأب.

تقديم الأم فى البر

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أىُّ الناس أحَقُّ منى بحُسن الصحبة؟.

فقال رسول الله ﷺ: « **أمك** ».

قال: ثُمَّ مَنْ؟.

قال ﷺ: «**ثم أمك**».

قال: ثُمَّ مَن؟.

قال ﷺ: « **ثم أمك** ».

قال: ثُمَّ مَن؟.

قال ﷺ: « **ثم أبوك**»[1].

قال ابن بطال: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع، فهذا تنفرد به الأم وتشقى به، ثم تشارك الأب فى التربية.

وقد وقعت الإشارة إلى ذلك فى قوله تعالى ﴿**ووصينا الإنسان بوالدية حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين**﴾[2] فَسَّوى بينهما فى الوصاية، وخَصَّ الأم بالأمور الثلاثة.

وقال القرطبى: المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر، وتُقَدَّم فى ذلك على حق الأب عن المزاحمة[3].

وهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغى أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب، لذكر النبى ﷺ الأمَّ ثلاث مرات وذكر الأب فى الرابعة فقط،

---

(١) رواه البخارى (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)، وابن ماجه (٢٧٠٦)، وأحمد (٢/٣٢٧، ٣٩١، ٤٠٢)، وابن حبان (٤٣٥).

(٢) لقمان: ١٤.

(٣) فتح البارى (١٠/٤١٦).

وإذا تَوَصَّل هذا المعنى شهد له العِيان، وذلك أن صعوبة الحمل وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم دون الأب، فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب[1].

وقال القاضى عياض ـ رحمه الله ـ: وقد ذهب الجمهور إلى أن الأم تفضل على الأب، وقيل: يكون برهما سواء، ونقل بعضهم عن مالك[2]، والصواب الأول.

وقد سُئل الليث بن سعد عن هذه المسألة فأمره بطاعة الأم، وزعم أن لها ثلثى البر[3]، وحديث أبى هريرة يدل على أن لها ثلاثة أرباع البر، وهو الحُجَّة على مَن خالف.

وقد زعم المحاسبى فى كتاب «الرعاية» له أنه لا خلاف بين العلماء فى أن للأم ثلاثة أرباع البر، وللأب الربع، على مقتضى حديث أبى هريرة رضى الله عنه. . ، والله أعلم[4].

وقد جاء فى حديث المقدام بن معدى كرب عن النبى ﷺ قال:«**إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»[5].

وثمة أحاديث أخرى فى الوصاية ببر الأم، وحُسن الصحبة لها وطاعتها، ومنها:

عن عطاء عن أبى عبد الرحمن السلمى قال أتى رجل أبا الدرداء رضى الله عنه فقال: إن امرأتى بنت عمى، وإنى أحبها، وإن والدتى تأمرنى أن أطلقها، فقال: لا آمرك أن تطلقها ولا آمرك أن تعصى والدتك، ولكن أحدثك حديثا

---

(١) تفسير القرطبى (١٠/١٥٦).

(٢) المنقول عن مالك ليس صريحاً فى ذلك، فقد ذكره ابن بطال، قال: إن رجلاً سأل مالك إن أبى فى بلد السودان، وقد كتب إلىَّ أن أقدم عليه، وأمى تمنعنى من ذلك، فقال له: أطع أباك ولا تعص أمك. . قال ابن بطال: هذا يدل على أنه يرى برهما سواء، كذا قال، وليست الدلالة على ذلك بواضحة [فتح البارى (١٠/٤١٦)، تفسير القرطبى (١٠/١٥٦)]

(٣) يشير إلى طريق الحديث التى لم يتكرر ذكر الأم فيه إلا مرتين.

(٤) انظر المصادر السابق ذكرها.

(٥) البخارى فى الأدب المفرد (٦٠)، والبيهقى فى السنن (٤/١٧٩) وأحمد (٤/١٣٢)، وابن ماجه (٣٦٦١)، وابن حبان فى صحيحه (٤٣٤)، والحاكم (٤/١٥١) مختصرا.

سمعته من رسول الله ﷺ . . ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الوالدة أوسط أبواب الجنة، فإن شئتَ فأمْسك، وإن شئتَ فدَعْ**»[1] .

وعن جاهمة السلمى رضى الله عنه أنه أتى النبى ﷺ يستأذن فى الجهاد، فقال له ﷺ: « **ألك والدة؟** » .

قال: نعم، قال: « **فالزَمْهَا فإنَّ عند رجْلَيْهَا الجنة**»[2] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه.

فقال ﷺ: « **هل بقى من وَالديْك أحد؟** ».

قال: أمى.

قال: « **فأبل[3] لله عز وجل عذراً فى برِّها، فإنك إذا فعلت ذلك فأنت حاجٌ ومعتمر ومجاهد إذا رضيت عنك أمك، فاتّقِ الله وبِرَّها**»[4] .

ومن الآثار ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلاً أتى عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فقال: إنى خطبتُ امرأة، فأبت أن تنكحنى، وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه؛ فَغِرْتُ عليها فقتلتُها فهل لى من توبة؟!.

فقال ابن عباس: أُمُّك حَيَّةٌ؟!.

قال الرجل: لا.

قال ابن عباس: تُبْ إلى الله وتَقَرَّب إليه ما استطعت.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/١٩٦)، والترمذى (١٩٠٠)، وابن ماجه (٣٦٦٣)، وابن حبان (٤٢٦)، والحاكم (٤/١٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤٢٩)، والنسائى (٦/١١)،وابن ماجه (٢٧٨١)، والحاكم (٤/١٥١)، وفى مجمع الزوائد (٨/١٣٨) عزاه للطبرانى وقال: رجاله ثقات.

(٣) أبلاهُ عذراً: أى بَيَّنَ وجه العذر ليزيل عنه اللوم، وأبلاه عذراً: أدَّاه إليه فقبله، و«**أبل لله تعالى عذراً فى برها**» أى: أعطه وأبلغ العذر فيها إليه، ومعناه: أحسن فيما بينك وبين الله ببرك إياها [لسان العرب (ص٣٥٥)].

(٤) رواه أبو يعلى والطبرانى فى الصغير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير ميمون بن نجيح ووثقه ابن حبان [مجمع الزوائد (٨/١٣٨)].

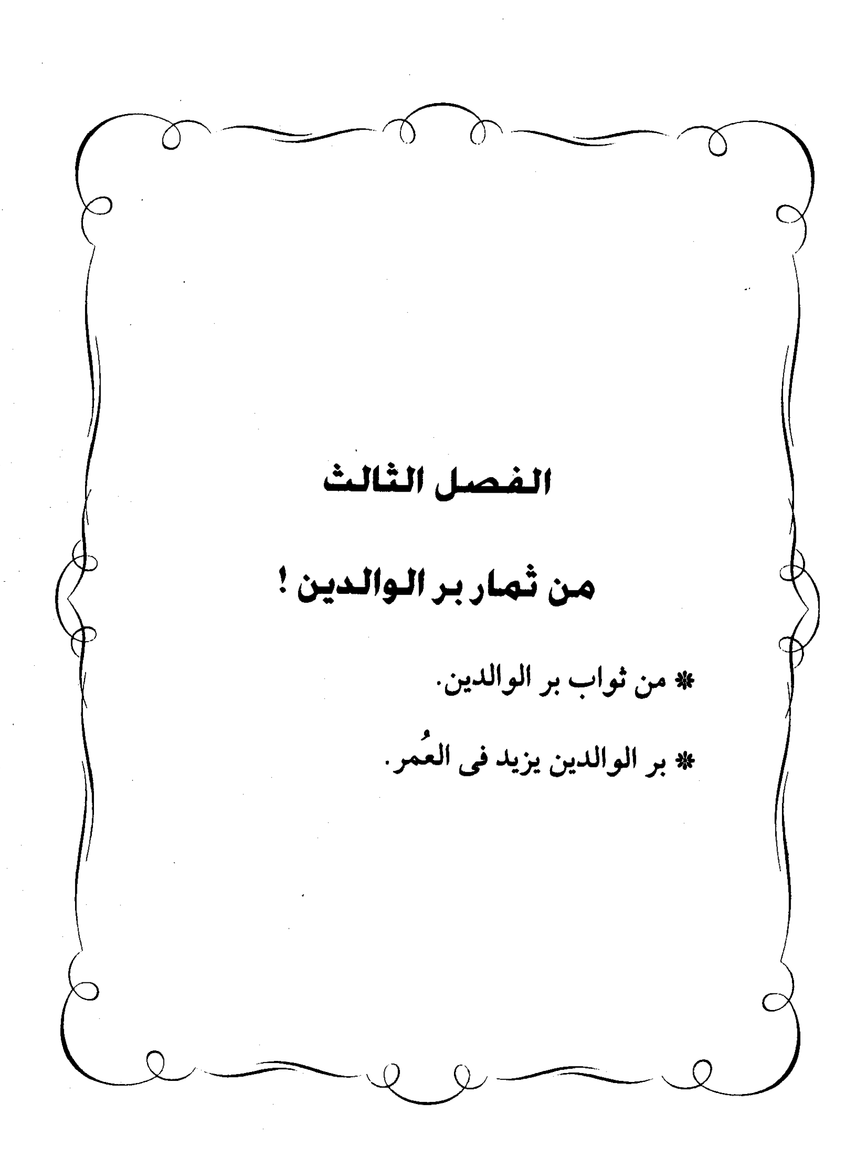
قال عطاء: فسألتُ ابن عباس: لِمَ سألته عن حياة أمه؟.

قال: إنى لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة[1].

وعن كعب بن علقمة رضى الله عنه أن موسى عليه السلام قال: يا رب أوصنى، قال: أوصيك بأمك فإنها حملتك وهنا على وهن، قال: ثم مَن؟ قال: ثم بأبيك.

---

(١) الأدب المفرد للبخارى (٤)، شعب الإيمان للبيهقى (٧٩١٣) بنحوه، انظر الدر المنثور للسيوطى (١٧٣/٤).



الفصل الثالث

من ثمار بر الوالدين !

* من ثواب بر الوالدين.
* بر الوالدين يزيد فى العُمر.

من ثواب برّ الوالدين

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: « **بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر، فَأَوَوْا إلى غار فى جبل، فانْحَطّت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انْظُروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادْعوا الله تعالى بها لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عنكم.**

قال أحدهم: اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران، ولى صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رُحْتُ عليهم حلبتُ فبدأتُ بوَالدَىَّ أسقيهما قبل بَنِىَّ، وإنى استأخرتُ ذات يوم ولم آت حتى أمسيتُ فوجدتهما ناما، فحلبتُ كما كنتُ أَحْلُب، فقمتُ عند رءوسهما أكره أن أوقظهما، وأكره أن أسقى الصِّبية قبلهما، والصِّبية يتضاغون [1]عند قدمىَّ، فلم يزل ذلك دابى ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنِّى فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فَفَرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت الصخرة شيئا لا يستطيع الخروج منه». وذكر الحديث بتمامه[2].

وفى هذا الحديث بيان فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم.

وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ نمن فرأيتنى فى الجنة فسمعت صوت قارىء يقرأ، فقلت: مَا هذا؟، قالوا: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: « **كذاك البر، كذاك البر، وكان أبر الناس بأمه**»[3].

وفى حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقام علينا فقال: «**إنى رأيت البارحة عجبا، رأيتُ رجلاً من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه برُّه بوالديه فَرَدَّ ملك الموت عنه**»

(١) أى يصيحون ويستغيثون من الجوع.

(٢) الحديث بتمامه عند البخارى (٢٢١٥) ومواضع أخرى، ومسلم (٢٧٤٣)، وأحمد (٢/١١٦)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٦/١١٧)، والبزار والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٨/١٤٢).

(٣) أخرجه أحمد (٦/١٥١، ١٥٢، ١٦٦، ١٦٧)، والحاكم (٣/٢٠٨)، وعبد الرزاق (٢٠١١٩)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٢٢٤)، وإسناده صحيح.

الحديث[١].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب من بيته، فلما دنا قلنا: لو أن هذا الشاب جعل قُوَّتَهُ وشبابه فى سبيل الله؟!.، فسمع رسول الله ﷺ مقالتنا فقال: **«أما فى سبيل الله إلا مَن قُتل؟!، مَن سعى على والديه ففى سبيل الله، ومَن سعى ليكاثر ففى سبيل الطَاغوت»**[٢].

*****

(١) الحديث بتمامه فى كتاب الروح لابن القيم (ص١١٣ـ ١١٤)، وفى الوابل الصيب له (ص٧٧ـ ٧٨) وعزاه لأبى موسى المدينى فى كتاب «الترغيب فى الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية» وقال بأنه بنى كتابه عليه وجعله شرحاً له، وقال: هذا حديث حسن جداً، وقال: كان شيخ الإسلام ابن تيمية يعظم شأن هذا الحديث ويقول: شواهد الصحة عليه.

قلت: والحديث فى «تسلية أهل المصائب» للمنبجى الحنبلى (ص٦٥) بتحقيقى، وعزاه لنصر بن عبد الرزاق فى «الأربعين»، وفى نفس المصدر (٧٦ـ ٧٨) وعزاه لابن عساكر، وفى كنز العمال (ح ٤٣٥٩٢) رمز له بالضعف وعزاه للطبرانى وللحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وهو فى نوادر الأصول (ص٣٢٤)، أما الطبرانى فقد أخرجه بإسنادين فى أحدهما سليمان بن أحمد الواسطى، وفى الآخر خالد ابن عبد الرحمن المخزومى وكلاهما ضعيف كما فى مجمع الزوائد (٧/ ١٨٠)، وضعفه المناوى فى فيض القدير (٣/ ٢٥ ـ ٢٦)، ووافقه الألبانى فى ضعيف الجامع (٢٠٨٥)، وانظر تخريج العراقى لإحياء علوم الدين (٣/ ٥٠ـ ٥١)، والعلل المتناهية لابن الجوزى (٢/ ٦٩٧ـ ٦٩٩) ومدار إسناد الحديث على الفرج بن أبى فضالة، وهو ضعيف، وانظر ترجمته فى التاريخ الكبير (٧/ ١٣٤)، الصغير للبخارى (٣٠٠)، النسائى (٤٩١)، الجرح والتعديل (٧/ ٨٥)، المجروحين (٢/ ٢٦٠)، الميزان (٣/ ٢٤٣)، التقريب (٢/ ١٠٨).

(٢) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط بنحوه وزاد: **«ومَن سعى على عياله ففى سبيل الله»** وفى إسناده رباح ابن عمر وثقه أبو حاتم وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٨/ ١٤٤)]، وفى كنز العمال (١١٧٦٠)، والدر المنثور (٤/ ١٧٣) وعزاه السيوطى للبيهقى بنحوه من حديث أبى الدرداء عن عمر بن الخطاب.

بر الوالدين يزيد فى العمر

عن سهل بن معاذ عن أبيه ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن بَرَّ والديه طوبى له زاد الله فى عمره**»[١].

وفى حديث ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزيد فى العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل لَيُحرم الرزق بخطيئة يعملها**»[٢].

وفى حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن أحب أن يمد الله فى عمره ويزيد فى رزقه فَلْيَبَرَّ والديه وليصل رحمه**»[٣].

وفى حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن صلة الرحم محبة فى الأهل، مثراة فى المال، منسأة فى الأثر**»[٤].

والزيادة فى العمر تكون على وجهين:

أحدهما: سعة الحال والزيادة فى الرزق وعافية البدن وتنعيم البال.

والثانى: أن الله تعالى يكتب أجل عبده مائة سنة، ويجعل بنيته وتركيبه وهيئته لتعمير ثمانين سنة، فإذا وصل رحمه زاد الله فى ذلك التركيب وفى تلك البنية، ووصل ذلك النقص فعاش عشرين أخرى حتى يبلغ مائة.

وقيل: معنى الزيادة فى العمر نفى الأفات عنهم، والزيادة فى أفهامهم وعقولهم وبصائرهم، وليس زيادة فى أرزاقهم ولا فى آجالهم، لأن الله تعالى فرغ من ذلك كله فقال فى الأرزاق ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا**﴾[٥]

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/ ١٥٤) وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأنظر مجمع الزوائد للهيثمى (١/ ١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧, ٢٨٠، ٢٨٢) وابن ماجة (٤٠٢٢)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، وصححه المناوى فى فيض القدير (٢/ ٣٣٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٩، ٢٦٦) ورجاله رجال الصحيح كما فى مجمع الزوائد (٨/ ١٣٦)، وهو عند البخارى (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) دون ذكر بر الوالدين.

(٤) رواه أحمد (٢/ ٣٧٤)، والترمذى (١٩٧٩)، والحاكم (٤/ ١٦١)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٢٥٢) بسند صحيح.

(٥) الزخرف: ٣٢.

والأول أرجح. . ، والله أعلم[1].

وقد قدمنا حديث أبى هريرة وفيه: «**من أحب أن يبسط له فى رزقه، ويُنسأ له فى أثره، فليصل رحمه**»[2].

والأثر: الأجل، وسمى الأجل أثراً لأنه يتبع العمر، كما فى قول زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل   لا ينقضى العمر حتى ينتهى الأثر

وأصله من أثر مشيه على الأرض، فإنَّ مَن مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه فى الأرض أثر.

قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾[3]، والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة، وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك، ومثل هذا ما جاء أن النبى ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار مَن مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر[4]، وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل، كأنه لم يمت.

ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذى يُنتفع به مَن بعده، والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، أما الأول الذى دلَّت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يُقال للمَلَك مثلاً: إنَّ عمر فلان مائة ـ مثلاً ـ إن وصل رحمه، وستون إن قطعها. وقد سبق فى علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذى فى علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذى فى علم المَلَك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾[5] فالمحو والإثبات بالنسبة

---

(١) بر الوالدين للطرطوشى (١٨٠ـ ١٨١)، كذا فى هامش (ص٥١) من البر والصلة لابن الجوزى.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الأعراف: ٣٤.

(٤) موطأ مالك (ص٣٢١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٢).

(٥) الرعد: ٣٩.

لما علم الملك، وما فى أم الكتاب ـ الذى هو فى علم الله تعالى فلا مَحْوَ فيه البته، ويقال له: « القضاء المُبْرَم»، ويقال للأول: « القضاء المُعلَّق».

والوجه الأول أَلْيَقُ بلفظ حديث الباب، فإن الأثر ما يتبع الشىء، فإذا أُخِّر حسن أن يحمل على الذِّكر الحسن بعد فَقْدِ المذكور.

وقال الطيبى: **الوجه الأول** أظهر، وإليه يشير كلام صاحب «الفائق» قال: ويجوز أن يكون المعنى: أن الله يبقى أثر واصل الرحم فى الدنيا طويلاً، فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم، ولما أنشد أبو تمام قوله فى بعض المراثى:

توفيت الآمال بعد محـــمد وأصبح فى شُغْلٍ عن السفرِ السفرُ

قال له أبو دلف: لم يَمُت مَن قيل فيه هذا الشِّعر.

ومن هذه المادة قول الخليل عليه السلام: ﴿**واجعل لى لسان صدق فى الآخرين**﴾[1].

وقد وَرَدَ فى تفسيره وجْهٌ ثالث؛ فأخرج الطبرانى فى «الصغير» بسند ضعيف عن أبى الدرداء قال: ذُكر عند رسول الله ﷺ مَن وصل رحمه أنسىء له فى أجله، فقال: « **إنه ليس زيادة فى عمره، قال الله تعالى:﴿ فإذا جاء أجلهم﴾**[2] **الآية ، ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعد**»[3].

وللطبرانى فى الكبير من حديث أبى مشجعة الجهنى رفعه: «**إن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر ذرية صالحة**» الحديث.

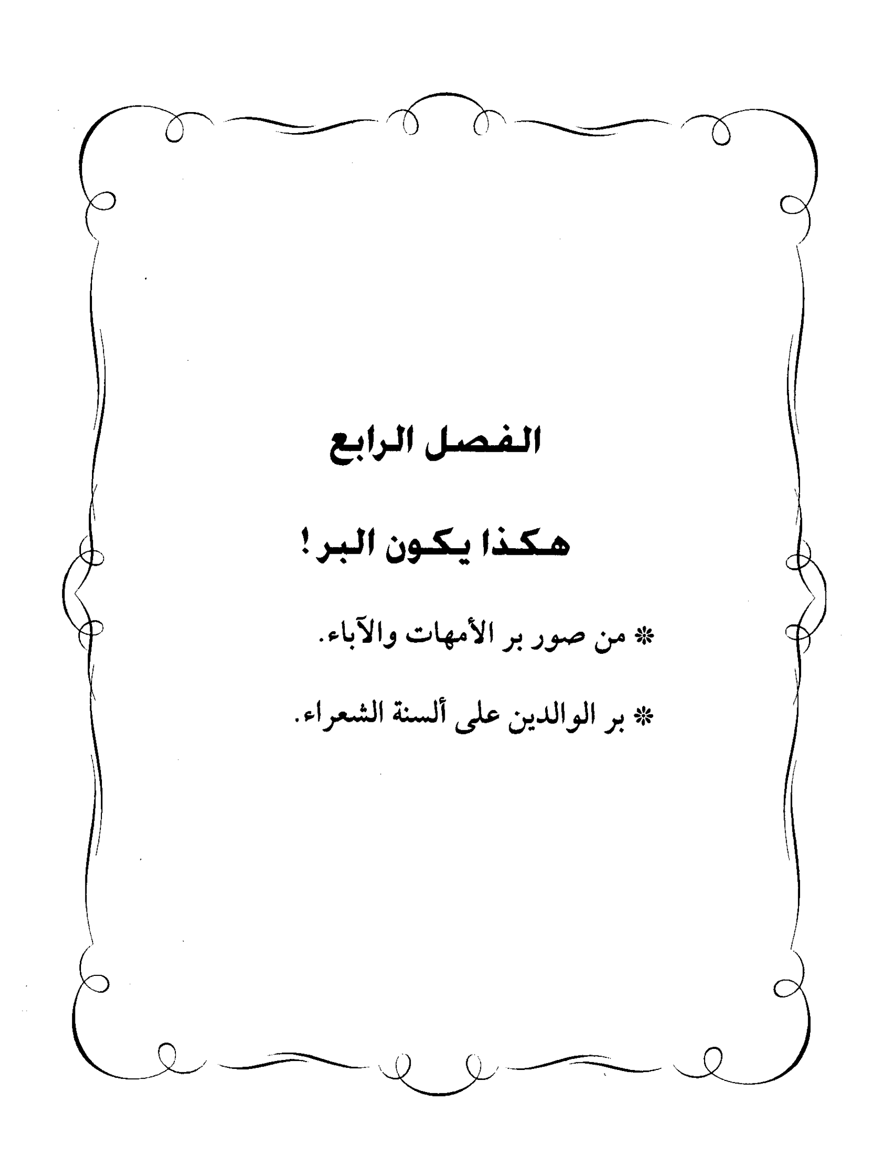
وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر نَفْيُ الآفات عن صاحب البر فى فهمه وعقله . . ، وقال غيره فى أعم من ذلك وفى وجود البركة فى رزقه وعلمه ونحو ذلك[4].

---

(١) الشعراء: ٨٤. (٢) الأعراف: ٣٤.

(٣) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، وليس فى إسناده متروك، ولكنهم ضعفوا، [مجمع الزوائد (١٥٣/٨)].

(٤) فتح البارى (٤٢٩/١٠ـ ٤٣٠).



الفصل الرابع

هكذا يكون البر!

* من صور بر الأمهات والآباء.

* بر الوالدين على ألسنة الشعراء.

من صور بر الأمهات والآباء

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال النبى ﷺ: « **دخلتُ الجنة فسمعتُ منها قراءة القرآن، فقلت: مَن هذا؟، فقيل: حارثة بن النعمان، قال: كذلكم البر، كذلكم البر** »[1].

قالت عائشة: رجلان من أصحاب النبى ﷺ كانا أَبَرَّ من كان فى هذه الأمة بأُمِّهما، فقيل لها: مَن هما؟ فقالت: عثمان بن عفان وحارثة بن النعمان، فأما عثمان فإنه قال: ما قدرتُ أن أتأمَّل أمى منذ أسلمت. . ، وأما حارثة فإنه كان يفلى رأس أمه ويطعمها بيده ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به حتى يسأل مَن عندها بعد أن تخرج: ماذا قالت أمى؟.

وكانت النخلة قد بلغت ألفاً فعمد أسامة بن زيد إلى نخلة له فقطعها من أجل جُمَّارها، فقيل له: لم ذلك؟ فقال: إن أمى اشتهت الجُمَّار علىَّ، وليس شىء من الدنيا تطلبه أمى أقدر عليه إلا فعلته.

وكان حُجر بن عدى بن الأدبر الكندى يلمس فراش أمه بيده فَيَتَّهِم غِلَظ يده، فيتقلب عليه على ظهره فإذا أمن أن يكون عليه شىء أضجعها.

وكان ظبيان بن على الثورى من أَبَرِّ الناس بأمه، ولقد باتت أمه ليلة وفى صدرها عليه شىء، فقام على رجليه قائما يكره أن يوقظها ويكره أن يقعد، حتى إذا ضَعُفَ جاء غلامان من غلمانه فمازال معتمداً عليهما حتى استيقظت من قِبَل نفسها، وإن كان ليبتاع الدستجة[2] من البقل فينقيها لها طاقة[3] طاقة حتى يضعها بين يديها، وكان يسافر بها إلى مكة فإذا كان يوم حار حفر بئراً ثم جاء بنطع[4] فَصَبَّ فيه الماء، ثم قال لها: ادْخُلى تَبَرَّدى فى هذا، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن.

وكان أبو هريرة إذا غدا من منزله لبس ثيابه ثم وقف على باب أمه فيقول:

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) الدستجة الحزمة من البقل ونحوه.
(٣) حزمَة.
(٤) بُساط من الجلد.

السلام عليك يا أُمَّتَاه ورحمة الله وبركاته، فترد عليه مثل ذلك. . ، فيقول: جَزَاكِ الله عنى خيراً كما ربيتنى صغيرا، فتقول: وأنت يا ابنى، فجزاك الله عنى خيراً كما بررتنى كبيرة. . ، ثم يخرج. . ، فإذا رجع قال مثل ذلك.

وكان محمد بن سيرين إذا كان عند أمه خفض من صوته وتَكَلَّم رويدا. . ، ودخل عليه رجل وهو على هذه الحال فقال: ما شأن محمد أيشتكى شيئا؟ فقالوا: لا، ولكنه هكذا يكون عند أمه.

وكان محمد بن المنكدر يضع خَدَّه بالأرض ثم يقول لأُمِّه: ضعى قدمك عليه.

وعن الأشجعى قال: استسقت أم مسعر منه ماءً فى الليل فقام فجاءها به وقد نامت، وكره أن يذهب فتطلبه ولا تجده، وكره أن يوقظها، فلم يزل قائماً والإناء معه حتى أصبح.

وقدم رجل من سفر فصادف أُمَّهُ قائمة تصلى فكره أن يقعد وهى قائمة، فعلمت ما أراد فَطَوَّلت لِيُؤْجَرَ.

وكان أبو هريرة يلى حَمْل أُمّه إلى المرفق[1] وينزلها عنه، وكانت مكفوفة البصر كبيرة.

وكان محمد بن الحنفية يغسل رأس أمه بالخِطْمِى[2]، ويُمَشِّطها ويفليها ويخضبها.

وكان على بن الحسين بن على بن أبى طالب لا يأكل مع أمه، وكان من أَبَرّ الناس بها، فقيل له فى ذلك، فقال: أخاف أن آكُل معها فتسبق عينها إلى شىء من الطعام وأنا لا أعلم به فآكله فأكون قد عققتها.

وكان الزبير بن هشام باراً بأبيه، وكان يرقى إلى السطح فى الحر فَيُؤْتَى بالماء البارد، فإذا ذاقه فوجد برده لم يشرب ، وأرسله إلى أبيه.

وقالت حفصة بنت سيرين: بلغ مِن بِرِّ الهذيل ابنى بى أنه كان يكسر القصب

(١) مكان قضاء الحاجة، والمُغْتَسَل.

(٢) نوع من الشجر يستخدم ورقه فى الغسيل للتنظيف، وهو كالصابون اليوم.

فى الصيف فيوقد لى فى الشتاء قال: لئلا يكون له دخان، وكان يحلب ناقته بالغداة[1]، فيأتينى به فيقول: اشربى يا أم الهذيل، فإن أطيب اللبن ما بات فى الضّرع.

قالت: فمات فرزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق،وكنت أجد مع ذلك حرارة فى صدرى لا تكاد تسكن، قال: فأتيت ليلة من الليالى على هذه الآية: **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** [2] فذهب عنى ما كنت أجد.

قالوا: كانت حفصة تَرَحَّم على الهذيل وتقول: كان يعمد إلى القصب فيقشره ،ويجففه فى الصيف، فإذا جاء الشتاء جاء حتى يقعد خلفى وأنا أُصَلِّى فيوقد وقودًا رفيقًا ينالنى حَرّه ولا يؤذينى دخانه، وكنت ألتفت من الصلاة فأقول: يا بنى الليل اذهب إلى أهلك.

فيقول: يا أماه. . ، فأعلم مايريد فأتركه، فلا يزال كذلك حتى يمضى من الليل، فأقول: يا بنى الْحَق بأهلك.

فيقول: دعينى. . . فأعرف ما يريد، فأدعه. فربما كان ذلك حتى يصبح.

وكان يبعث إلىَّ بحلبة الغداة، فأقول:يا بنى تعلم أنّى لا أشرب اللبن نهارًا !

فيقول: إن أطيب اللبن ما بات فى الضَّرع، فلا أحب أن أوثر به غيرك، فابعثى به إلى مَن أحْبَبْت.

وجاء ذات يوم قد أَهَلَّ بالحج، فقلت: ما أردت إلى هذا إنّى لم أكن أمنعك. قال: قد عرفتُ ولكن حصرت نيتى. فمات هذيل فوجدت عليه وَجْدًا[3] شديدًا. قالت: فقمت ليلة أُصَلِّى فافتتحتُ سورة النحل، فأتيت على قوله تعالى **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾**[4] فذكرتُ هذيلاً فذهب ما كنت أجد.

وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبى الزناد بارًّا بأبيه، وكان أبوه يقول: يا محمد ! فلا يجيبه حتى يثب فيقوم على رأسه فيلبيه فيأمره بحاجته فلا يستثبته

(١) أى الصُّبح.
(٢) النحل: ٩٦.
(٣) الوَجْدُ: الحزن الشديد.
(٤) النحل: ٩٦.

هيبة له، حتى يسأل مَن فهم ذلك عنه.

وجاء أن ابن عوف نادته أمه، فأجابها، فعلا صوته صوتها فأعتق رقبتين.

وقال أبو بكر بن عياش: ربما كنت مع منصور فى منزله جالسًا، فتصيح به أمه، وكانت فَظَّة غليظة فتقول: يا منصور يريدك أبو هبيرة على القضاء، فتَأبَى، وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها.

وعن عبد الله بن المبارك قال: قال محمد بن المنكدر: بات عمر - يعنى أخاه - يُصَلِّى، وبتُّ أغْمُرُ رجل أمى، وما أحب أن ليلتى بليلته.

وكان بن الأدبر يلمس فراش أمه بيده فَيَتَّهم غلظ يده، فيتقلب عليه على ظهره، فإذا أَمِنَ أن يكون عليه شىء أضجعها.

وجاء أن عمر بن ذَرٍّ لما مات ابنه، قيل له: كيف كان برّه؟

فقال: ما مشى معى نهارًا قط إلا كان خلفى، ولا ليلاً إلا كان أمامى، ولا رَقِىَ على سطح أنا تحته!.

ونُقل عن المأمون أنه قال: لم أَرَ أَبَرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ مِن برّه بأبيه أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بالماء الحار، وكانا فى السجن، فمنعهما السجان من إدخال الحطب فى ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قُمقم يسخن فيه الماء، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائمًا وهو فى يده حتى أصبح.

وحكى غير المأمون أن السجان فَطِنَ لارتفاقه بالمصباح فى تسخين الماء، فمنعهم من الاستصباح[1] فى الليلة القابلة، فعمد الفضل إلى القُمْقُم مملوءًا فأخذه معه فى فراشه وألصقه بأحشائه حتى أصبح وقد فتر الماء.

وعن كعب الأحبار قال: اجتمع ثلاثة عُبَّاد من بنى إسرائيل فقالوا: تعالوا حتى يذكر كلٌّ إنسان منا أعظم ذنب عمله.

فقال أحدهم: أما أنا فلا أذكر من ذنب أعظم من أنِّى كنت مع صاحب لى،

---

(١) أى منعهم من إشعال المصباح وإيقاده.

فعرضت لنا شجرة فخرجت عليها ففزع منى، فقال: الله بينى وبينك.

وقال الآخر: إنا معاشر بنى إسرائيل إذا أصاب أحدنا بَوْلٌ قطعه، فأصابنى بول فقطعته فلم أبالغ فى قطعه فهذا أعظم ذنب عملته.

وقال الثالث: كان لى والدة فدعتنى من قِبَل شمال الريح، فأجبتها، فلم تسمع، فجاءتنى مغضبة، فجعلت ترمينى بالحجارة، فأخذتُ عصى وجئتُ لأقعد بين يدها لتضربني بها حتى ترضى، ففزعت منى فأصابت وجهها شجرة فَشَجتها، فهو أعظم ذنب عملته قط.

*****

بِرُّ الوالدين على ألسنة الشعراء

عن هشام بن عروة قال: بينما عمر يطوف بالكعبة إذا رجل يحمل أمه وهو يقول:

أحمـــــل أمى وهى الحَمَّالة ترضعنى الدِرَّة والعُـــلالَة[1]

هل يُجْزَيَنَّ ولدٌ فعَالـــــه؟

فقال عمر رضى الله عنه: لا، ولا رضعة واحدة![2].

* * *

وعن هشام بن عروة أن رجلاً رُئى وهو يطوف بالكعبة وقد حمل أمه وهو يقول:

إنى لها مطيـــــة لا أُنْكِرُ إذا الرِّكابُ نَفَرت لا أَنفِـــرُ

ما حملت وأرضعـــتنى أكثرُ

* * *

وعن أبى بردة قال: كان ابن عمر يطوف فرأى رجلاً يطوف حاملاً أمه وهو

(١) العلالة: الحلبُ بعد الحلب قبل استجابة الضرع للحلب بكثرة، أنظر لسان العرب لابن منظور (ص٣٠٧٩ - ٣٠٨٠) ط. دار المعارف.

(٢) بر الوالدين لابن الجوزى (ص٣٧)، مكارم الأخلاق لابن أبى الدنيا (٢٣٣).

يقول:

إنى لها بعـــــــيرها المُذَلَّل إن ذُعِرَت رِكابُها لم أذْعَـــــر

أحملها وما حملـــــتنى أكثر

أو قال: أطول، أترانى جزيتها ياابن عمر؟!.

فقال ابن عمر: لا، ولا زفرة واحدة؟.

* * *

وعن عبد الله بن عبيد قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت:

خَلُّوا الطريق يا عباد الرحـــمن أُخبر أميرَ المؤمنـــين بالشان

الحَمْلُ حَوْلٌ والرَّضـــاعُ حَوْلان

ثم جلست، فقالت: إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء، وفخذى له حواء، وثديى له سقاء، فلما بلغ منفعته وأدرك خيره أراد أبوه أن ينتزعه منىَ.

فنظر عمر فإذا هو كأنه قد شَبَّ، فَخَيَّره بين أمه وأبيه.

* * *

وقدم شاب من اليمن يقال له المراجل زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فبدأ بأمه فَخَيَّرها ثوبا...، ثم ثنى بامرأته، فأخذت ثوبا حسنا، ثم إن الأم تتبعت ثوب المرأة، فقالت له: أَعْطِنيه، فأبى، وقال لها: قد بدأتُ بك. فغضبت عليه، وأعرضت عنه، ثم أتت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستَعْدَت عليه، فأرسل إليه فقال: أغضبتها حتى استعدت؟ فَقَصَّ عليه القصة..، فقال عمر: لقد جَشِعت نفسك فبأى حق؟

فقالت:

يا أيها ذا الرجـــــل المُسَائِل بأىِّ حق آخُذُ المَرَاجـــــل

بتسعة حَمَلْتُه كــــــــــوامل في البطن لم يحمله عنى حامل
حتى إذا ما اقترب القـــــوابل وحصحص الحق وزاح الباطــل
زَوَّجْتُهُ هاتى التى تناضـــــــــل وسُقْتُ من مالى له الأمـــــائل
من أَعْبُدٍ كانوا لنا وجـــــامل فذاك حقى وبه أناضـــــــــل

فهملت عينا عمر، وأمره بالرد عليها.

* * *

وجاء رجل إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه يخاصم أباه فقال:

يا أيها الحـــــاكـــ ـــمُ هذا والدى حقا
أتانى وهو محتـــاجٌ فما كنتُ بـــــه عَقًّا
بذلتُ المالَ فى رِفقٍ وما كنـــتُ به نَزِقا[1]
فلما خـــفَّ من مالى وقد أَوْلَيْتُـــهُ رِفْقَا
تَوَلَّى مُعْرِضـــًا عنى ولَمَّا يُعْطِنى حَـــقًّا

فقال الإمام علىّ رضى الله عنه: ما يقول ابنك هذا؟!

فقال:

قد قال ابنى ما ترى فَصَدِّقْهْ رَبَّيْتُهُ فى صغـــر أُفَنِّقُهُ[2]
طورًا أُفَدِّيه وطـــورا أُونِقُهْ حتى إذا شَبَّ وسُوِّى مَفْرِقَهُ
أقرضنى مالاً فكنـــتُ أنفقهْ ولم أكن بماله لأسبـــقه
لولا الصبا منه ولولا رَهَقُهْ اقْضِ القضا والله ربى يرزقه

فقال على رضى الله عنه:

قد سمع القاضى، ومن الله الفَهَمْ المالُ للشيخ جزاءً بالنِّعَمْ
وقد تَسَلَّفْتَ بتفضيل القِدَمْ من قال قولاً غير ذا فقد ظَلَمْ
وجار فى الحكم وبئس ما حكَم

(١) النَّزِق: الخفة والطيش.

(٢) الفَنَقُ: التنعم فى العيش.

وردَّ عمر بن الخطاب رجلاً على أبيه فى الغزو، لأن أباه كان يبكى ويذكره فى الشعر، فكان فيما يقول:

أتاهُ مهاجــــــران فَزَلَّجاهُ ... عباد الله، قد عَقَّا وحـــــابا

أبرًا بعد ضيعـــــــة والديه ... فلا ـ وأبى كـــلابٍ ـ ما أصابا

فقال عمر رضى الله عنه ـ: أجل:

لا ـ وأبى كلاب ـ ما أصابا.

تركت أباك مُرْعَشَةً يداهُ ... وأمك ما تسيغ لها شرابا

إذا دَعَت الحمامةُ ساق حُرٍّ ... على بيضاتها دَعَوا كلابا

تُنَغِّص مَهْدَهُ شفقا عليه ... وتَجْنُبُه أَبَاعِرَنَا الصعابا

* * *

وقد ورد ذلك بسند صحيح، فيما رواه هشام بن عروة عن أبيه قال: كان أمية ابن الأسكر الجندعى أدرك الإسلام وهو شيخ كبير، وله امرأة عجوز كبيرة، وله منها بنون، فبينما هو يمشى فى موسم من مواسم العرب وأحد بنيه يقوده إذ جُذِب منه، فَلَحِقَ بالجهاد ولحقه أخوه !!.

فقال أمية:

إذا دعت الحمامةُ ساق حُرٍّ ... على بيضاتها دَعَوا كلابا

تركت أباك مُرْعَشَةً يداهُ ... وأمك ما تُسيغ لها شرابا

أتاهُ مُسْلِمان فَزَلَّجاه ... لِتَرْكِ عجوزه عَقًّا وحابا

أرادا أن يفارقها فقالا: ... كتاب الله لو قَبِلَ الكتابا

وقال:

أَصَاحَبْتَنى حتى إذا ما رأيتنى ... أرى الشخص كالشخصين وهو قريب

وأنّى حنى ظهرى حَوَانٍ تَرَكْنَهُ ... شَجَارًا فَمَشْيي فى الرجال دبيبُ

تُحَدِّث فى الأقوام أن لم تَعُقَّنى ... بلى حين إذ فَارَقْتَنى وتحوبُ

وقال:

يا ابنى أُمَيَّة إنىٌّ عنكما عانِ ... وما العنا غير أنّى مُرْعَشٌ فانِ

يا ابنى أمية إلا تشهدا كِبَرى ... فإنّ فقدكما والموتَ عِدْلاَنِ

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأرسل إليهما فقال: والله لا تفارقانه حتى يموت.

وعن هشام بن عروة عن أبيه أن أمية قال أيضا:

أعاذِلَ قد عَذَلْت بغير قَدْرٍ ... وهل تدرين وَيْحَكِ ما أُلاقى

وإما كُنْتِ عاذلتى فَرُدِّى ... كلابًا إذ تَوَجَّهَ للعراقِ

ولم أَقْضِ اللُّبَانَة من كلابٍ ... غَداةَ غَدَا وآذَنَ بالفراقِ

فتى الفتيـــان فى عُسْرٍ ويُسْرٍ ... شديدُ الرُّكن فى يوم التلاقى

فلا ـ وأبيك ـ ما بَالَيْتَ وجدى ... ولا شفقى عليك ولا اشتياقى

وإلْطَافى عليك إذا شَتَوْنَا ... وضَمَّكَ تحت نحرى واعتناقى

فلو فَلَقَ الفراقُ نياط قلبٍ ... لَهَمَّ سوادُ قلبى بانفلاقِ

سأستعدى على الفاروق رَبًّا ... له دَفْعُ الحجيج إلى بُسَاقِ[1]

وأدعو الله مجتهدًا عليه ... ببطن الأخشبين إلى دُفاقِ

إنِ الفاروق لم يَرْدُدْ كلاباً ... إلى شيخين هامُهُما زَوَاقى

* * *

قال هشام بن عروة أن كلاب بن أمية غزا فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأنشأ أبوه يقول:

إذا بكت الحمـــامة ساق حرٍّ ... على بيضـــاتها دَعَوَا كلابا .

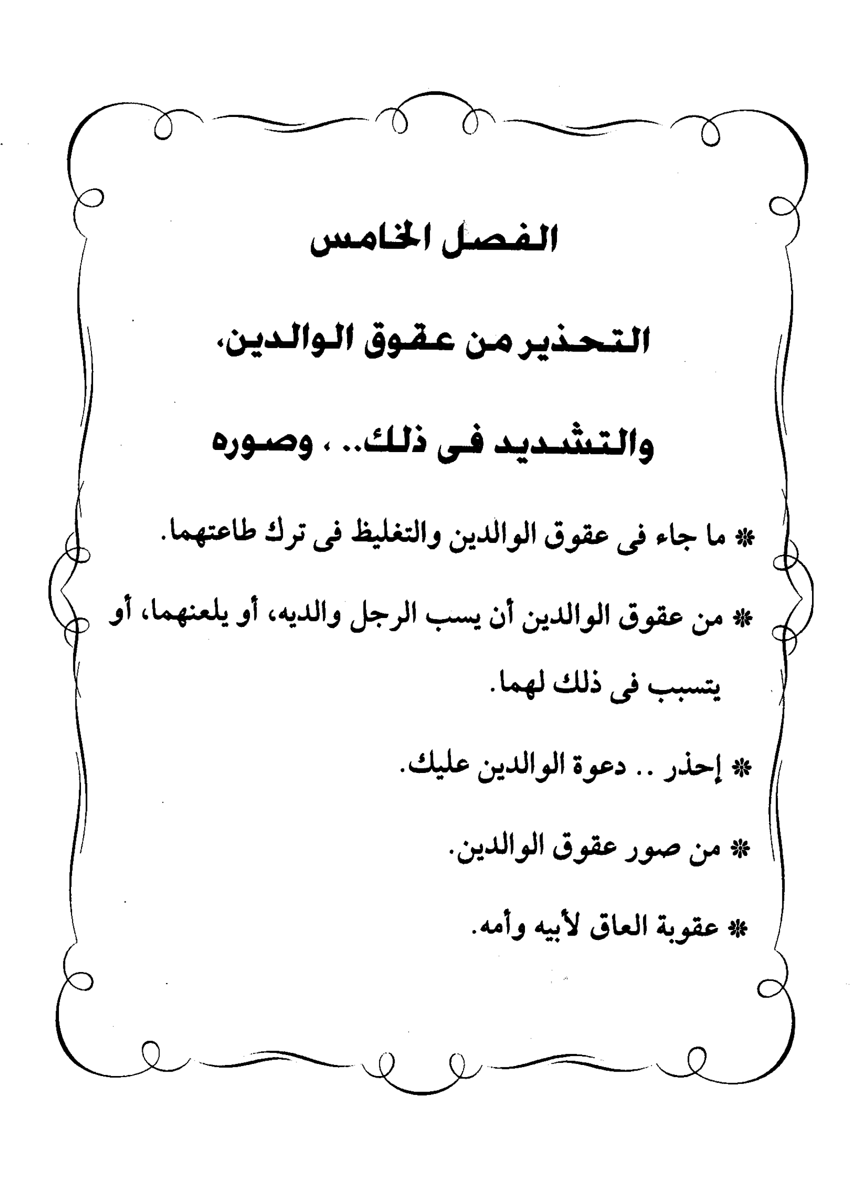
---

(١) بُساق: جبل بالحجاز.

تركت أباك مُرعشة يـــــداهُ   وأمك ما تُسيـــــغ لها شرابا

فبلغ ذلك عمر - رضي الله عنه - فكتب فجيء به، فلما أن دخل عليه عَلاَهُ بالدِرَّة ضربا، وقال: أجهادٌ أفضل من أبويك؟ أجهاد أفضل من أبويك؟![1].

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٧٨ - ٨٢).



الفصل الخامس

التحذير من عقوق الوالدين، والتشديد فى ذلك.. ، وصوره

* ما جاء فى عقوق الوالدين والتغليظ فى ترك طاعتهما.
* من عقوق الوالدين أن يسب الرجل والديه، أو يلعنهما، أو يتسبب فى ذلك لهما.
* إحذر .. دعوة الوالدين عليك.
* من صور عقوق الوالدين.
* عقوبة العاق لأبيه وأمه.

ما جاء فى عقوق الوالدَيْن والتغليظ فى ترك طاعتهما

المراد بالعقوق: صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل إلا فى شرك أو معصية مالم يتعنت الوالد.

وقد صَحَّت الأحاديث عن المعصوم ﷺ فى تأثيم العاق لوالديه، والتغليظ فى ذلك، ومن هذه الأحاديث:

عن المغيرة بن شعبة قال: قال النبى ﷺ: «**إن الله حَرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووَأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**»[1].

خَصَّ الأمهات هنا بالذِّكر لأن العقوق إليهن أسرع من الآباء لضعف النساء، ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب فى التلطف والحنو ونحو ذلك[2].

وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله .

قال: «**ثلاثًا : الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال. ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت**»[3].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر - أو سُئل عن الكبائر - فقال: «**الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور، أو شهادة الزور**»[4].

---

(١) البخارى (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣)، والدارمى (٢٧٥١)، وأحمد (٤/٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥)، والطبرانى (٢٠/٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥)، والبغوى فى شرح السنة (١٣/١٦)، والبيهقى (٦/٦٣)، والخرائطى فى مساوىء الأخلاق (٢٤٨).

(٢) فتح البارى (٥/٨٣).

(٣) البخارى (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧)، والترمذى (١٩٠١)، وأحمد (٥/٣٦، ٣٨)، والخرائطى فى مساوىء الأخلاق (١٥٣).

(٤) رواه البخارى (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨)، وأحمد (٣/١٣١، ١٣٤، ٤٩٥).

وصح عن ابن عمرو أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**»(١).

وفى حديث ابن عمرو عن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة أربعة: المدمن الخمر، والعاق والديه، والولد الزنا(٢)، والمنَّان**»(٣).

وقد جاء ذلك من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة مدمن الخمر، ولا العاق، ولا المنَّان**»(٤).

قال ابن عباس: شَقَّ ذلك عليَّ، لأن المؤمنين يصيبون ذُنوبا. قال: وقد وجدتُ فى كتاب الله فى العاق: ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتُقَطِّعوا أرحامكم**﴾(٥)، وفى المنَّان قال: ﴿**لا تُبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾(٦)، وقال في الخمر: ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾ (٧) (٨).

وعن عمرو بن مرة الجهنى رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليتُ الخمس، وأدَّيتُ زكاة مالى، وصُمتُ شهر رمضان، فقال النبى ﷺ: «**مَن مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ـ ونصب أصبعيه ـ مالم يَعُقّ والديه**»(٩).

---

(١) البخارى (٦٦٧٥)، والترمذى (٣٠٢١)، والدرامى (٢٣٦٠)، والنسائى (٧/ ٨٩)، وأحمد (٢/ ٢٠١، ٢٠٣).

(٢) المراد بقوله «**ولد الزنا**»: مَن تحقق بالزنا حتى صار غالبًا عليه، فاستحق بذلك أن يكون منسوبًا إليه، كما يُقال: «**ابن السبيل**» للمسافر. ونحو ذلك.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢٠١، ٢٠٣)، والنسائى (٥/ ٨٠، ٨١)، وابن حبان (٣٣٧٤ ـ ٣٣٧٥)، والطيالسى (٢٢٩٥)، أنظر السلسلة الصحيحة للألبانى (٦٧٣).

(٤) الطبرانى فى الكبير (١١١٦٨)، والخرائطى فى مساوىء الأخلاق (٢٤٣) بسند ضعيف. . ، لكن يشهد له حديث ابن عمرو السابق ذكره.

(٥) محمد: ٢٢ (٦) البقرة: ٢٦٤.

(٧) المائدة: ٩٠. (٨) مساوىء الأخلاق للخرائطى (ص ١٠١).

(٩) أخرجه الطبرانى (٨/ ١٤٧)، ورجال أحد إسنادى الطبرانى رجاله رجال الصحيح، وفى المجمع (١/ ٤٦) عزاه للبزار وقال: إسناده حسن أو صحيح.

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فقال: **«آمين.. آمين.. آمين»**، فلما نزل قيل: يا رسول الله إنك حين صعدت المنبر قلت: «آمين .. آمين .. آمين»؟! فقال: **«إن جبريل عليه السلام أتانى فقال: مَن أدرك شهر رمضان، فلم يُغفر له فمات فدخل النار فأبعده الله، قل آمين، فقلت: آمين..، ومَن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين..، ومَن ذُكرت عنده فلم يُصَلِّ عليك فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين»**[1].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: **«رَغِمَ أنفه، رغم أنفه.، رغم أنفه»**، قالوا: مَن يا رسول الله؟، قال: **«مَن أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما فدخل النار»**[2].

قوله ﷺ: **«رَغِمَ أنفه»** معناه: ذُلَّ، وقيل: كُره وخزى، وهو بفتح الغين وكسرها، وأصله: لصق أنفه بالرغام، وهو تراب مختلط برمل.

وفى الحديث الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه، ومعناه: أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة وغير ذلك سبب لدخول الجنة، فَمَن قَصَّر فى ذلك، فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه[3].

وعن أبى بكرة نفيع بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل الذنوب يؤخر الله تعالى منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يُعَجِّله لصاحبه فى الحياة قبل الممات»**[4].

وعن عمرو بن ميمون الأزدى قال: لما تَعَجَّل موسى إلى ربه رأى رجلاً تحت العرش فغبطه بمكانه، فسأل ربه أن يخبره باسمه، فلم يخبره، وقال: لكنى

---

(١) رواه الطبرانى بأسانيد وأحدها حسن [مجمع الزوائد (٨/١٣٩)]، وأخرجه ابن حبان (٤١٠)..، وهو عند الحاكم (٤/١٥٣ ـ ١٥٤) من حديث كعب بن عجرة وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) رواه مسلم (٢٥٥١)، وأحمد (٢/٣٤٦)، والترمذى (٣٥٤٥)، والديلمى (٣٠٩٩)، والبخارى فى الأدب المفرد (١/٧٧).

(٣) شرح النووي (١٦/١٠٨ ـ ١٠٩).

(٤) الخرائطى فى مساوىء الأخلاق (٢٤٥)، وأبو نعيم فى الحلية (١٠/٢١٥ ـ ٢١٦)، الحاكم (٤/١٥٦) وإسناده ضعيف.

أُحَدِّثك عن عمله بثلاث خصال: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يعق والديه، ولا يمشى بالنميمة[1].

وعن أبى المليح قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله عِظْنى!

فقال ﷺ: **«لا تشرك بالله شيئا، وإن حُرِّقْتَ، وإن عُذِّبت»**.

قال: زِدْنى!.

قال ﷺ: **«لا تترك الصلاة متعمدًا، فإن غضب الله يريد من ترك الصلاة متعمدًا»**.

قال زِدْنى؟

قال ﷺ: **«لا تَعُقّ واحدًا من والديك، وإن أَمَرَاك أن تخرج من مالك كله، فاخرج منه»**[2].

وفى حديث أوس بن أوس الثقفى أن رسول الله قال: **«مَن كَذَّب أبويه، فإنه لا يُرِح رائحة الجنة»**[3].

وقوله ﷺ: **«لم يُرِحْ رائحة الجنة»** أى: لم يَشُمَّ ريحها [4].

وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه: فَوْقَ كُلِّ فُجورِ فجورٌ، حتى يَعُقَّ والديه[5]، وفوق كل جودٍ جُودِ حتى يبذل دمه لله تعالى[6].

(١) إسناده صحيح، أخرجه أحمد فى الزهد (ص٨٥)، وابن أبى الدنيا فى الصمت (٢٦٥)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/١٤٩)، والخرائطى فى مساوىء الأخلاق (رقم ٢٢٠).

(٢) أخرجه الخرائطى فى مساوىء الأخلاق (رقم ٢٥٨)، قال محققه: إسناده ضعيف لكن الحديث صحيح بشواهده، ثم ذكرها.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٥٩١)، وإسناده حسن كما فى مجمع الزوائد (١٤٨/١)...، وأخرجه الخرائطى فى مساوىء الأخلاق (٢٥٩).

(٤) أنظر: لسان العرب لابن منظور (ص١٧٦٥).

(٥) أى أن عقوق الوالدين هو نهاية الفجور وذروته وليس فوقه فجور.

(٦) مساوىء الأخلاق للخرائطى (٢٦١).

من صور العقوق : أن يَسُب الرجل وَالدَيْه أو يَلْعَنْهُمَا أو يتسبب فى ذلك لهما

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«**إن أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**».

قيل: يا رسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟

قال: «**يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[1].

وفى هذا الحديث دليل على أم مَن تَسبَّب فى شئ جاز أن يُنسب إليه ذلك الشيء . . ، وقد جعل ذلك عقوقًا للوالدين لكونه يحصل منه ما يتأدى به والوالد تأذيًا ليس بالْهيِّن[2].

وفى الحديث الصحيح عن على بن أبى طالب أن رسول الله ﷺ :«**لعن الله مَن لعن والديه، لعن الله مَن ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى مُحْدثًا، ولعن الله مَن غَيَّر منار الأرض**»[3].

*****

إحذر .. دعوة الوالدَيْن عليك

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالدين على ولدهما**»[4].

وفى حديث أبى هريرة فى الصحيحين وغيرهما عن النبى ﷺ:«**أنه كان فى**

(١) رواه البخارى (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠)، وأبو داود (٥١٤١) والترمذى (١٩٠٣)، وأحمد (٢/ ١٦٤، ١٩٥، ٢١٤، ٢١٦)، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٨/ ٧٣).

(٢) شرح النووى (٢/ ٨٨).

(٣) رواه مسلم (١٩٧٨)، وأحمد (١/ ١٠٨، ١١٨، ١٥٢)، والحاكم (٤/ ١٥٣)، والنسائى (٧/ ٢٣٢)، والخرائطى فى مساوىء الأخلاق (٧٤).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٨، ٤٣٤، ٤٧٨، ٥١٧، ٥٢٣)، وأبو داود (١٥٣٦)، والترمذى (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، والطيالسى (٢١٧)، وابن حبان (٢٦٨٨)، والخرائطى فى مساوىء الأخلاق (٦٣١)، والبخارى فى الأدب المفرد (ح ٣٢).

بنى إسرائيل رجل يقال له جُرَيج كان يصلى فجاءته أمه فَدَعَتْهَ، فقال: اللهم أمي وصلاتى، فاختار صلاته، فرجعت ثم عادت فى الثانية فقالت: يا جريج أنا أمك فَكَلِّمنى، قال: اللهم أمى وصلاتى، فاختار صلاته، فقالت: اللهم ان هذا جريج وهو ابني، وإنى كَلَّمته فأبى أن يكلمنى اللهم فلا تُمته حتى تُريه الموسات[1]، قال: **ولو دعت عليه أن يُفْتَنَ لَفُتِنَ.**

قال: «**وكان راعى ضأن يأوى إلى دَيْرِه، قال: فخرجت امرأة من القرية، فوقع عليها الراعى، فحملت، فولدت غلاما.**

فقيل لها: ما هذا؟ .

قالت: من صاحب هذا الدير.

قال: **فجاؤا بفؤوسهم ومساحيهم فنادوه فصادفوه يُصَلِّى فلم يُكَلِّمهم، قال: فأخذوا يهدمون ديْرَه.**

فلما رأى ذلك نزل إليهم، فقالوا له: سَلْ هذه..،فتبسم ثم مَسحَ رأس الصبى فقال: مَن أبوك؟،فقال الصبى:أبى راعى الضأن!..،فلما سمعوا ذلك منه قالوا: نبنى ماهدمنا من ديرك بالذهب والفضة،قال: لا، ولكن أعيدوه ترابًا كما كان»[2].

وفى هذا الحديث فوائد كثيرة. . ، منها:ـ

ـ عظم بر الوالدين، وتأكيد حق الأم، وأن دعاءها مجاب، ولو كان الولد معذورا، لكن الحال يختلف فى ذلك بحسب المقاصد.

ـ وفى الحديث الرفق بالإبن إذا جرى منه ما يقتضى التأديب لأن أم جريج مع غضبها منه لم تَدْعُ عليه إلا بما دعت به خاصة[3]، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل.

وفى الحديث فوائد أخرى كثيرة غير ما ذكرناه[4].

---

(١) المومس: الزانية.

(٢) البخارى (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠)، وأحمد (٢/٣٠٧، ٣٠٨، ٣٨٥، ٤٣٣، ٤٣٤).

(٣) دعت عليه أن يرى وجوه المومسات فقط.

(٤) انظر: فتح البارى (٦/٥٥٢ ـ ٥٥٧)، شرح النووى (١٦/١٠٤ ـ ١٠٨).

من صور عقوق الوالدين

قال ابن عمر: بكاء الوالدين من العقوق[1].

وقال عروة بن الزبير: ما بَرَّ والديه مَن أحَدَّ النظر إليهما[2].

وقال ابن سيرين: مَن مشى بين يدى أبيه فقد عقَّه إلا أن يمشى فيُميط له الأذى عن طريقه، ومَن دعا أباه باسمه فقد عَقَّه، إلا أن يقول: يا أبت.

وقال مجاهد: لا ينبغى للولد أن يدفع يد والده إذا ضربه، ومن شَدَّ النظر إلى والديه فلم يَبِرَّهما، ومَن أدخل عليهما حُزْنا فقد عَقَّهما.

وقال الحسن: منتهى القطيعة أن يجافى[3] الرجل أباه عند السلطان[4].

وقال فرقد السبخى: قرأتُ فى بعض الكتب: ما بَرَّ ولد مَدَّ بصره إلى والديه، وإن النظر إليهما عبادة، ولا ينبغى للولد أن يمشى بين يدى والديه، ولا يتكلم إذا شهدا، ولا يمشى عن يمينهما ولا عن يسارهما إلا أن يدعوانه فيجيبهما، أو يأمرانه فيطيعهما، ولكن يمشى خلفهما مثل عبد ذليل[5].

وسُئل الحسن البصرى عن البر؟.

فقال: الحُبُّ والبذل.

قيل: وما العقوق؟.

قال يهجرهما ويحرمهما.

ثم قال الحسن: النظر إلى وجه الأم عبادة، فكيف ببرها؟![6].

(١) الأدب المفرد للبخارى (ح٣١)، بر الوالدين لابن الجوزى ، برقم (١٤٢).

(٢) مساوىء الأخلاق للخرائطى (ح٢٥٣)، بر الوالدين (١٤٣).

(٣) يخاصم .

(٤) البر والصلة لابن المبارك (١١١)، بر الوالدين لابن الجوزى (١٤٦).

(٥) بر الوالدين لابن الجوزى (١٤٧).

(٦) السابق (١٤٩)، البر والصلة لابن المبارك (١١٨).

عقوبةُ العاقِّ لأبيه وأمِّه

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رضا الرب فى رضا الوالد، وسخط الرب فى سخط الوالد**»[1].

وعن مجاهد قال: أردتُ حاجة، فبينما أنا فى الطريق إذا فجأنى حمار قد أخرج عنقه من الأرض، فنهق فى وجهى ثلاثًا، ثم دخل !!، فأتيتُ القوم الذين أردتهم، فقالوا: مالنا نرى لونك قد حال[2]؟!، فأخبرتهم الخبر، فقالوا: ما تعلم مَن ذاك؟! . . ، فقلت: لا، قالوا: ذاك غلام من الحى، وتلك أُمُّه فى ذلك الخباء، وكان إذا أمَرَتْهُ بشىء شتمها وقال: ما أنت إلا حمارة، ثم نهق فى وجهها وقال: ها . . ها . . ها . . ، فمات فَدَفَنَّاه فى ذلك الحفير، فما من يوم إلا وهو يُخْرِج رأسه فى الوقت الذى دَفَنَّاه فيه فينهق ناحية الخباء ثلاث مرات ثم يدخل[3].

وأخرج ابن الجوزى فى «بر الوالدين» بإسناده عن مالك بن دينار[4] قال: بينما أنا أطوف بالبيت الحرام وقد أعجبنى كثرة الحجيج والمعتمرين فقلت: ياليت شعرى مَن المَقْبُول منهم فَأُهنِّيه؟ ومَن المرود منهم فأُعَزِّيه؟! .

فلما كان الليل رأيتُ فى منامى كأن قائلاً يقول: مالك بن دينار يتفكر فى الحاجِّ والمعتمرين!، قد غفر الله للقوم أجمعين؛ الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والأسود والأبيض، والعربى والأعجمى، ما خلا رجلاً واحدًا فإن الله تعالى عليه غضبان، وقد رَدَّ الله حَجَّه وضرب به وجهه!.

قال مالك: فَنِمْتُ بليلة لا يعلمها إلا الله عز وجل، وخَشيتُ أن أكون أنا ذلك الرجل، فلما كان فى الليلة الثانية رأيتُ فى منامى مثل ذلك، غير أنه قيل

---

(١) الترمذى (١٨٩٩)، والحاكم (٤/ ١٥١)، وصححه هو والذهبى، وانظر الحلية (٨/ ٢١٥)، مجمع الزوائد (٨/ ١٣٦)، وابن حبان (٤٣٠).

(٢) أى تَغَيَّر.

(٣) أخرجه الحافظ ابن أبى الدنيا فى كتاب «من عاش بعد الموت» برقم (٢٧)، وفى إسناده منصور بن عمار البغدادى ليس بالقوى كما فى [الجرح والتعديل (٨/ ١٧٦)]، وعنه ابن الجوزى فى بر الوالدين (ص١٣٧).

(٤) مالك بن دينار البصرى، أبو يحيى، من رواة الحديث، كان يأكل من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجره، أنظر ترجمة فى: التقريب (٢/ ٢٢٤)، التهذيب (١٠/ ١٤ ـ ١٥)، الحلية (٢/ ٣٥٧)، الأعلام (٥/ ٢٦٠)، تاريخ الثقات (١٥٢٣).

لى: ولَسْتَ ذلك الرجل، بل هو رجل من أهل خُراسان من مدينة تدعى بلخ، يقال له محمد بن هارون البلخي، الله عليه غضبان.، وقد رَدَّ عليه حَجَّه، وضرب به وجهه.

فلما أصبحتُ أتيتُ أهل خراسان فقلت: أفيكم البلخيون؟

قالوا: نعم.

فأتيتهم فَسَلَّمت فقلت: أفيكم رجل يقال له محمد بن هارون؟!

قالوا: بَخٍ بَخٍ[1] يامالك تسألُ عن رجل ليس بخراسان أَعْبَدُ ولا أَزْهَدُ ولا أقْرَأُ منه!!. فَعَجِبْتُ من جميل الثناء عليه، وما رأيتُ فى منامى!

فقلت لهم: أَرْشِدُونى إليه.

فقالوا: إنه منذ أربعين سنة يصوم النهار ويقوم بالليل، ولا يأوى إلا إلى الخراب، نظنه فى خرائب مكة...، فجعلتُ أجول فى الخرابات، وإذا به قائم فى خلف جدار وإذا يده اليمنى مقطوعة مُعَلَّقة فى عنقه، وقد نقب ترقوته[2] وشَدَّها إلى قيدين غليظين فى قدمه وهو راكع وساجد، فلما أَحَسَّ بِهَمْسِ قدمى انْفَتَل[3] وقال: مَن تكون؟ .

قلت: مالك بن دينار.

قال: يا مالك، فماذا جاء بك إلىَّ، رأيتَ رؤيا؟!؛ اقْصُصْهَا علىَّ.

قلت: أستحى أن أستقبلك بها.

قال: لا تستحى...، فقصصتها عليه، فبكى طويلاً وقال: يا مالك هذه الرؤيا تُرَى لى منذ أربعين سنة، يراها فى كل سنة رجل زاهد مثلك، أَنَّى من أهل النار.

قلت: بينك وبين الله ذَنْبٌ عظيم؟!.

قال: نعم..، ذنبى أعظم من السماوات والأرض والجبال والعرش والكرسى.

---

(١) بخ بخ: كَلِمَةُ فَخْر.

(٢) الترقوة: عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، والجمع تراق.

(٣) انفتل عن صلاته: انصرف عنها.

قلت: حَدِّثني لأُحَدِّث الناس أن لا يعملون به.

قال: يا مالك كنتُ رجلاً أُكثر شُرب هذا المُسكر، فشربتُ يومًا عند خدْن[١] لى، حتى إذا ثَملْتُ[٢] وزال عقلى، أتيت منزلى، فدخلت فإذا والدتى تحصبُ[٣] تنوراً[٤] لنا قد ابْيَضَّ جوفه، فلما رأتنى أتمايل بسُكْرِى أخذت تعظنى وتقول: هذا آخِرُ يوم من شعبان وأول ليلة من رمضان، يُصبح الناس غدًا صُوَّامًا وأنت تُصبح سكرانا؟!، أما تستحى من الله؟!.

فرفعتُ يدى فلكزتها[٥]، فقالت: تَعِسْتَ...، فغضبتُ من قَوْلِها فحملتها بسكرى فرميت بها فى التنور، فلما رأتنى امرأتى حملتنى فأدخلتنى بيتا، وأجافت[٦] الباب فى وجهى، فلما كان آخر الليل وذهب سُكرى دعوتُ زوجتى لتفتح الباب، فأجابتنى بجواب فيه جفاء.

فقلت: ويلك! ما هذا الجفاء الذى لم أعرفه منك؟.

قالت: تستأهل أن لا أرحمك.

قلت: ولِمَ؟.

قالت: قد قَتَلْتَ أُمَّك، رميتَ بها في التنور فقد احترقت.

فلما سمعتُ ذلك لم أتمالك أن قلعتُ الباب، وخرجتُ إلى التنور، فإذا هى فيه كالرغيف المحترق، فالْتَفَتُّ فإذا قَدُوم[٧] فوضعت يدى اليُمنى على عتبة الباب فقطعتها بيدى الشمال، وثقبت ترقوت فأدخلت فيها هذه السلسلة، وقَيَّدْتُ قَدَمَيَّ بهذين القيدين، وكان ملْكى ثمانية آلاف دينار فتصدقت بها من قبل وعشرين عبدا، ووقفتُ ضياعى[٨] فى سبيل الله، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النهار وأقوم الليل لا أفطر إلا على قبضة حِمّص، وأحج البيت فى كل سنة، ويرى لى فى كل

---

(١) صديق. (٢) الثمل: السُّكْر.

(٣) كُلّ ما ألقيته فى النار فقد حصبتها به فهو حصب بمعنى حطب، وفى القرآن ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [لسان العرب (ص٨٩٣ ـ ٨٩٤)].

(٤) التنور: الفُرن.

(٥) اللَّكْزُ: الضرب بجميع اليد فى الصَّدْر والحنك والجسم. (٦) أغلقت.

(٧) فأس صغيرة. (٨) الضَّيعة: المال والتجارة.

سنة رجل عالم مثلك مثل هذه الرؤيا، وأنّى من أهل النار.

قال مالك: فنفضتُ يدى فى وجهه وقلت: يا مشئوم كدْتَ تحرق الأرض ومَن عليها بنارك، وغبْتُ عنه بحيث أسمع حِسَّه ولا أرى شَخْصَهُ، فرفع يده إلى السماء وجعل يقول: يا فَارِجَ الهم، ويا كاشف الغم، يا مجيب دعوة المضطرين، أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، لا تقطع رجائى ولا تُخَيِّب دعائى.

قال مالك: فأتيتُ منزلى فنمت، فرأيت النبى ﷺ فى منامى وهو يقول: يا مالك لا تُقنط الناس من رحمة الله، ولا تُيئسهم من عفوه، إن الله قد اطَّلع من الملأ الأعلىَ على محمد بن هارون فاستجاب دعوته، وأَقَالَه عَثْرَتَه، اغدُ إليه فقل له: إن الله يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة، ويَقْتَصّ للجَمَّاء من القَرْنَاء[1]، ويجمع بينك وبين أمك يا محمد بن هارون، فيحكم لها عليك، ويأمر الملائكة فيقودونك بسلاسل غلاظ إلى النار، فإذا وَجَدْتَ طعمها بمقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا ولياليها، لأنى آليتُ على نفسى لا يشرب المُسكر عبد من عبيدي ويقتل النفس التى حَرَّمْتُ إلا أذقته طعم النار، ولو كان خليلى إبراهيم..، ثم أطرح في قلب أمك الرحمة فَأُلْهِمُهَا أن تستوهبك منى فَأَوْهِبُكَ لها فتدخلان الجنة.

قال مالك: فلما أصبحتُ غدوت إليه فأخبرته برؤياى، فكأنما كانت حياته حصاة ملح فَطُرِحَت فى طَسْتِ ماءٍ، فمات، فكنتُ فيمن صَلَّى عليه[2].

استعدى المُنَازل[3] السعدى عمر بن الخطاب على ابنه جُلَيْح وشكى عقوقه، فأنشأ يقول:

تَظَلَّمنى مالى جُليــــح وعَقَّني ... على حين صارت كَالْحَنِىّ[4] عظامى

وجاء نعول من حــــرام كأنما ... يُسَعَّرُ فى أهلى حريق ضُــــرَام

لعمرى لقد رَبَّيْتُهُ فَرِحَــــا به ... فلا يَفْرَحَنّ بعدى أبٌ بَغُــــلاَمِ

(١) الجَمَّاء: التى لا قَرْنَ لها.
(٢) بر الوالدين لابن الجوزى (ص١٠٩ - ١١١).
(٣) منازل بن فرعان بن الأعرف السعدى التميمى، الشاعر.
(٤) الحَنِىُّ: القوس.

فغضب عمر رضى الله عنه ودعى بالدِّرة، فقال له جُليح: يا أمير المؤمنين إن أبى قد عَقَّ أباه ووثب عليه ولوى يده. . . ، ولجَدى فيه شعر.

قال عمر: أَنْشِدْنيه!.

فقال:

جزت رحـــــم بينى وبين مُنازل ... جزاء مُسىء لا يُفَتَّـــــرُ طَالبُه

تَربَّيْتُهَ حتى إذا تَمَّ واستـــــوى ... وكاد يوازى غَاربَ الفَحْلِ غَاربُه

وقد كان يأتيه إذا جَاعَ أو بكَـى ... من الزاد عندى حُـلْوه وأطَايبُه

فَلَمَّا رآنى أَبْصرُ الشَّخْـصَ أَشْخُصَا ... بعيدا وذو القُرب القـريب أُقَاربه

تَظَلَّمنى مالى ولوى يـــــدى ... لوى يَدَهُ اللهُ الذى هو غـــــالبه

فنظر إليه عمر وقال: ما أرى لكما مثلاً إلا قول الهُذَلى[1]:

تَعَاوَرْتُمَا[2] ثوب العقوق كلاكُما ... أبٌ غَيْرُ بَرٍّ وابنٌ غير وَاصِـــــلِ

فقال مُنَازل: يا أمير المؤمنين خُذ لى بحقى منه.

فقال عمر:

فلا تَجْزَعَنَّ من سُنَّةٍ أنت سِرتَهَا ... فأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَن يسيـرُها[3]

(١) خالد بن زهير الهذلى.

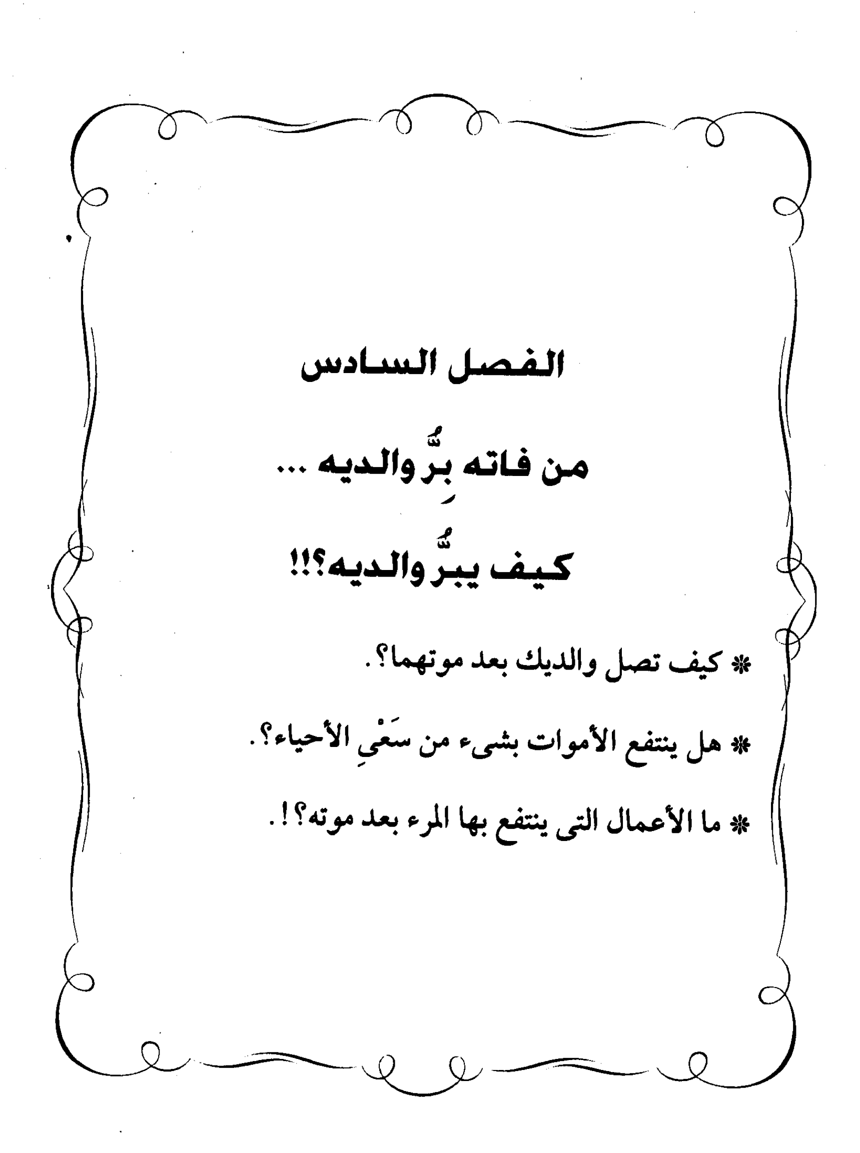
(٢) أعاره كل منهما للآخر.

(٣) بر الوالدين لابن الجوزى (ص ١٠١ ـ ١٠٢)، أنظر الإصابة (٦/ ١٨٢). . . ، وفى لسان العرب (ص٢١٦٩) قال: البيت من جملة أبيات لخالد بن زهير ابن أخت أبى ذؤيب فعاتبه أبو ذؤيب فى أبيات كثيرة، فقال له خالد:

فإن التى فينا زعمـــــتَ ومثلها ... لَفيك ولكنى أراك تجـــــورها

فلا تجزعن من سُنة أنت سرتها ... فَأول راض سنة من يسيـــــرها

وقوله : «أنت سرتها» يعنى: أنت جعلتها سائرة للناس.



الفصل السادس

من فاته بِرُّ والديه ...

كيف يبرُّ والديه؟!!

* كيف تصل والديك بعد موتهما؟.
* هل ينتفع الأموات بشىء من سَعْىِ الأحياء؟.
* ما الأعمال التى ينتفع بها المرء بعد موته؟!.

صلة الوالدين بعد موتهما... كيف؟

١ ـ الدعاء والاستغفار والصدقة:

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة:**

صدقة جارية...،

أو علم يُنْتَفَعُ به...،

أو ولد صالح يدعو له»[١].

ومعنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تَجَدُّد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خَلَّفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية.

وفي الحديث أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت، وكذلك الصدقة.

وفي حديث عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره:**

مَن عَلَّم علما..،

أو كرى[٢] نَهْرًا..،

أو حفر بئرًا..،

أو غرس نخلاً..،

أو بنى مسجدًا...،

أو ورَّثَ مصحفا..،

أو ترك ولدًا يستغفر له»[٣].

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (ح٣٨)، والنسائي (٦/ ٢٥١)، وأحمد (٢/ ٣٧٢)، وابن حبان (٣٠٠٥)، وأبو داود (٢٨٨٠).

(٢) أي: حفر.

(٣) قال في مجمع الزوائد (١/ ١٦٧) أخرجه البزار، وفيه محمد بن عبيد الله العزرمي وهو ضعيف..، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤٩).

وعن أبى سعيد الساعدى قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا جاءه رجل من بنى سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقى مِن برِّ أَبَوَىَّ شىء أَبَرَّهُمَا به بعد موتهما؟ .

قال ﷺ: **«نعم..، خصال أربع:**

الدعاء لهما والاستغفار لهما..،

وإنفاذ عهدهما..،

وإكرام صديقهما..،

وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قِبَلهما»[1].

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة، فقول: يا رب أَنَّى لى هذه؟، فيقول: باستغفار ولدك لك»**[2].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: **«ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدق صدقة لله تطوعًا أن يجعلها لوالديه إذا كانا مُسْلِمَيْن، فيكون لوالديه أجرهما من غير أن ينقص من أجورهما شيئا»**[3].

وعن سعد بن عبادة أن أمه ماتت، فقال لرسول الله ﷺ: إن أمي ماتت، أفأتصدق عنها؟

قال: **«نعم»**.

قال: فأى الصدقة أفضل؟

قال ﷺ: **«سَقْىُ الماء»**.

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد (ح ٣٥)، وأحمد (٣/٤٩٨)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن حبان (٤١٩)، والحاكم (٤/ ١٥٤، ١٥٥) وصححه، والطبرانى فى الكبير (١٩/٢٦٨).

(٢) فى مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٠) عزاه لأحمد وللطبرانى فى الأوسط وقال: رجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وقد وثق..، قلت وهو عند أحمد (٢/٥٠٩).

(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف دون قوله: «إذا كانا مسلمين» [تخريج العراقى للإحياء (٢/٣٣٦)].

قال الرواى: فتلك سقاية آل سعد بالمدينة[1].

وفى رواية أن سعدًا قال للنبى ﷺ: يا رسول الله إنى كنت أَبَرُّ أمى، وإنها ماتت فإن تَصَدَّقْتُ عنها وأعتقتُ عنها ينفعها ذلك؟

قال ﷺ: «نعم».

قال سعد: فَمُرْنى بصدقة.

قال ﷺ: «اسْقِ الماء».

فنصب سعد سقايتين بالمدينة[2].

وفى حديث ابن عباس قال: إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمى توفيت أفينفعها إن تَصَدَّقْتُ عنها؟

قال ﷺ: «نعم».

قال: فإن لى مَخْرَفًا[3] فَأُشْهِدك أَنّى تصدقت به عنها[4].

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال للنبى ﷺ: إن أبى مات ولم يُوصِ، أفينفعه أن أتصدق عنه؟ . . ، قال: «نعم»[5].

وفى الصحيحين من حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رجلاً قال للنبى ﷺ إن أمى افْتُلِتَتَ نفسها[6] وأظنها لو تكلمت تَصَدَّقَت ، فهل لها من أجر إن تَصَدَّقْتُ عنها؟ . . ، قال ﷺ: «نعم»[7].

وفى الحديث السابق وغيره مما سبق: جواز الصدقة عن الميت، وأن ذلك ينفعه بوصول ثواب الصدقة إليه، ولا سيما إن كان من الولد، واستحباب ذلك

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٥)، (٦/ ٧)، والنسائى (٦/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٢) المسند (٦/ ٧)، والنسائى (٦/ ٢٥٢). ، وابن المبارك فى البر والصلة (٩٣).

(٣) مخرفًا: أى بستاناً من نخل.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٨٨٢)، والترمذى (٦٦٩) وحسنه، والنسائى (٦/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٣٠)، والنسائى (٦/ ٢٥٢)، وابن ماجه (٢٧١٦)، وأحمد (٢/ ٣٧١).

(٦) أى ماتت فجأة.

(٧) البخارى (١٣٨٨)، مسلم (١٠٠٤)، وأبو داود (٢٨٨١)، والنسائى (٦/ ٢٥٠)، وابن ماجه (٢٧١٧).

من الابن، وأن ثوابها يصل الميت وينفعه وينفع المتصدق أيضا[1].

٢ ـ إنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة أقاربهما وأصدقائهما:

وقد مرَّ ذلك فى حديث أبى سعيد بن أسيد الساعدى وفيه أن رجلاً سأل النبى ﷺ: هل بقى من برِّ أبوَىَّ شىء أبرهما به بعد موتهما؟

فقال ﷺ: «**نعم خصال أربع**» :

الدعاء لهما، والاستغفار لهما..،

وإنفاذ عهدهما..،

وإكرام صديقهما..،

وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما»[2].

وعن عبد الله بن دينار أن أعرابيًا مَرَّ على ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وهو فى طريق الحج، فقال له ابن عمر: أَلَسْتَ فلان بن فلان؟

قال : بلى .

قال الراوى: فانطَلَقَ ـ يعنى ابن عمر ـ إلى حمار كان يستعقب به إذا مَلَّ راحلته[3]، وعمامة يشد بها رأسه فنزعها وقال: اركب هذا الحمار واشدد رأسك بهذه العمامة.

فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابى حمارًا كنت تَرَوَّح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك؟!!، إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسر! .

فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ من أَبَرِّ البِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أبيه بعد أن يُوَلِّى**[4]**،وإن أباه كان صديقًا لعمر**»[4].

---

(١) فتح البارى (٥/٤٥٨)، شرح النووي (٢٦/٨٤). (٢) تقدم تخريجه.

(٣) كان يستريح على حمار له إذا ضجر من ركوب البعير.

(٤) رواه مسلم (٢٥٥٢)، وأحمد (٢/٩١)..، وجاء الحديث فقط عند أحمد (٢/٨٨، ٩٧، ١١١)، وأبى داود (٥١٤٣)، والترمذى (١٩٠٣).

وقد وردت هذه القصة عند الطبراني في الأوسط عن ابن عمر، وفيها قال ابن عمر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**احفظ وُدَّ أبيك لا تقطعه فيُطفىء الله نورك**»[1].

وعن نافع قال: قدم أبو بردة المدينة، فأتاه ابن عمر فَسَلَّم عليه، فدخل عليه فسأله، فلما أراد أن يقوم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ من أَبَرِّ البر مَن بَرَّ أباه بعد موته بصلته أهل وُدِّ أبيه**»[2]

وقال عمر بن الخطاب: مَن أحَبَّ أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده[3].

وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه، لكونه بسببه.

وتلتحق به أصدقاء الأم والجد والمشايخ والزوج والزوجة..، وقد جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يذبح الشاة فيهدي إلى خلائل خديجة[4] رضي الله عنها ما يَسَعَهُن[5].

وفي رواية: وربما ذبح الشاة ثم يُقَطِّعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة[6].

وهذا من حُسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب[7].

٣ ـ قضاءُ الدَّيْنِ عنهما:

عن سعيد بن الأطول رضي الله عنه أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط بسند صحيح كذا في مجمع الزوائد (٨/١٤٧)، انظر بر الوالدين لابن الجوزي (رقم ١٩٠).

(٢) بر الوالدين لابن الجوزي (١٩١)، شرح السنة للبغوي (١٣/٣٣).

(٣) بر الوالدين (١٩٣)، شرح السنة (١٣٠/٣٣).

(٤) أي صديقاتها..، وكان ذلك بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

(٥) رواه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥)، وأحمد (٦/٢٠٢).

(٦) البخاري (٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٣٥)، والترمذي (٢٠١٧)، وأحمد (٦/٢٧٩).

(٧) شرح النووي (١٥/٢٠٢).

وترك عيالاً، قال: فأردتُ أن أنفقها على عياله، قال: فقال ﷺ: «**إن أخاك محبوس بِدَيْنه فاذهب فاقْضِ عنه**».

قال: فذهبتُ فقضيت عنه، ثم جئت. . ، وقلت: يا رسول الله قد قضيتُ عنه إلا دينارين ادَّعَتْهُما امرأة، وليست لها بيِّنَة!.

فقال ﷺ: «**أعطها فإنها مُحقَّة**» وفى رواية: «**أعطها فإنها صادقة**»[1].

وفى حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه أن النبى ﷺ صَلَّى على جنازة ـ وفى رواية: صَلَّى الصبح ـ فلما انصرف قال: «**أههنا من آل فلان أحد؟**»

فسكت القوم، وكاد إذا ابتدأهم بشىء سكتوا. . ، فقال ذلك مرارًا ثلاثًا لا يجيبه أحد. فقال رجلٌ: هو ذا. . . ، قال: فقام رجل يَجُر إزاره من مؤخر الناس.

فقال له النبى ﷺ: «**ما منعك في المرتين الأولين أن تكون أجبتنى، إما إنى لم أنوه باسمك إلا لخير، إن فلانًا ـ لرَجُلٍ منهم ـ مأسور بِدَيْنه عن الجنة، فإن شئتم فافدوه، وإن شئتم فَأَسْلموه إلى عذَاب الله**».

قال الراوى: فلو رأيت أهله ومَن يتحرون أمره قاموا فقضوا عنه حتى ما أحد يطلبه بشىء[2].

وفى حديث جابر بن عبد الله قال: مات رجل فَغَسَّلْنَاه وكَفَّنَّاه وحَنَّطْناه[3]، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنائز، عند مقام جبريل، ثم آذَنَّا[4] رسول الله ﷺ بالصلاة، فجاء معنا، فتخطى خُطى. ثم قال: «**لَعَلَّ على صاحبكم دَيْنًا؟!**».

قالوا: نعم، ديناران.

فَتَخَلَّف، وقال: «**صَلُّوا على صاحبكم**».

فقال رجل منا يقال له أبو قتادة: يا رسول الله هما عليَّ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٣٦)، (٥/٧)، والبيهقى (١٠/١٤٢)، وابن ماجه (٢٤٣٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥,١١، ١٣، ٢٠)، والحاكم (٢/٢٥، ٢٦)، وأبو داود (٣٣٤١)، والنسائى (٧/٣١٥)، والطيالسى (٨٩١ ـ ٨٩٢) بسند صحيح.

(٣) الحَنوط: ما يُخلط من الطِّيب لأجساد الموتى خاصة.

(٤) أى أعلمناه وأخبرناه.

فقال رسول الله ﷺ: **«هما عليك وفى مالك، والميت منهما برىء؟»**.

فقال: نعم. فصلى عليه رسول الله ﷺ.

وفى رواية: ثم لقيه النبى من الغد فقال: **«ما صنعت الديناران؟»**.

فقال: يا رسول الله إنما مات أمس قد قضيتهما يا رسول الله.

فقال ﷺ: **«الآن حين بردت عليه جلده»**[1].

أفادت هذه الأحاديث أن الميت ينتفع بقضاء الدَّين عنه، ولو كان من غير ولده، وأن القضاء يرفع العذاب عنه.

٤ ـ أعمال أخرى ينتفع بها الميت:

وجاء فى الحديث أن عتق الابن أو صومه أو نحره عن أبيه المسلم مقبول إن شاء الله. . ، وفيه حديث عبد الله بن عمرو أن العاص بن وائل نذر فى الجاهلية أن ينحر مائة بدنه[2]، وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين، وأراد عمرو أن ينحر الخمسين الباقية، وأن عَمْرًا ـ يعني ابن العاص ـ سأل النبى ﷺ عن ذلك، فقال ﷺ: **«أما أبوك فلو أقَرّ بالتوحيد فَصُمْتَ وتَصَدَّقت عنه نفعه ذلك»**[3].

وأما وصول ثواب الصوم فقد جاء فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن مات وعليه صيام صَامَ عنه وَليُّه»**[4].

وفى الصحيحين أيضًا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم شهر، أفأقضيه عنها؟

فقال ﷺ: **«نعم، فَدَيْن الله أحق أن يُقضى»**[5].

---

(١) الحاكم (٢/ ٥٨) وصححه ووافقه الذهبى، والبيهقى (٦/ ٧٤ ـ ٧٥)، والطيالسى (١٦٧٣)، وأحمد (٣/ ٣٣٠) بسند حسن.

(٢) بقرة أو ناقة.

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٨٢)، وأبو داود (٢٨٨٣) وعنده «العتق» بدل «النحر». . ، وحَسَّن الألبانى إسناده فى أحكام الجنائز (ص١٧٣).

(٤) رواه البخارى (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧)، وأبو داود (١٤٠١)، وأحمد (٦/ ٦٩).

(٥) رواه البخارى (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨)، والترمذى (٧١٦)، وابن ماجه (١٧٥٨)، والدارمى (١٧٦٨)، وأحمد (٢/ ٢٢٤)، ٢٢٧، ٢٥٨، ٢٦٣) عن ابن عباس.

وفى رواية: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أمى ماتت وعليها نَذْر، أفأصوم عنها؟

فقال ﷺ: «**أفرأيتِ لو كان على أمك دَيْن أكُنْتِ قاضيته ذلك عنها؟**»

قالت: نعم.

فقال ﷺ: «**فصومى عن أمك**»[1].

أما الحج ففي الصحيح أيضًا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: إن أمى نذرت أن تَحُجَّ فلم تحج حتى ماتت، أفأحُجُّ عنها؟

قال ﷺ: «**نعم، حُجِّى عنها، أرأيتِ لو كان على أمك دَيْن أكُنْتِ قَاضِيَتَه؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء**»[2].

من هذه الأحاديث فإن الصيام عن الميت فى النذر - كما ثبت - جائز، ولكن من ولى الميت - كما ثبت أيضا - والحج كذلك ثابت من الإبن لأحد الوالدين لا من كل أحد لأحد[3].

ومما سبق فالميت ينتفع بعد موته من عمل غيره بالآتى:

أولاً: الدعاء له، والاستغفار له.

ثانيًا: قضاء ولى الميت صوم النَّذْر عنه كذا والحج.

ثالثًا: قضاء الدَّيْن عنه من أى شخص سواء كان وليًا أو غيره.

رابعًا: الصدقة والنحر والعتق عنه.

خامسًا: ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة، فإن لوالديه مثل أجره

---

(١) رواه البخارى (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨)، والترمذى (٧١٦)، وابن ماجه (١٧٥٨)، والدارمى (١٧٦٨)، وأحمد (٢/ ٢٢٤)، ٢٢٧، ٢٥٨، ٢٦٣) عن ابن عباس.

(٢) رواه البخارى (١٨٥٢)، والنسائى(٥/ ١١٦_١١٧)، وابن ماجه(٢٩٠٧)، وأحمد(٢/ ٢٤٠، ٢٧٩، ٣٤٥).

(٣) أنظرتفصيل أقوال أهل العلم فى هذا الموضوع فى الروح لابن قيم الجوزية(١٦١ - ١٩٥) المسألة السادسة عشرة..، تفسير المنار (٨/ ٢٥٤ - ٢٧٠)، أحكام الجنائز للألبانى (١٦٨ - ١٧٨)، وفتح البارى لابن حجر (٤/ ٧٧ - ٧٨، ٢٢٧ - ٢٢٩)، شرح النووي لصحيح مسلم (٨/ ٢٥ - ٢٧).

دون أن ينقص من أجره شيء، لأن الولد مِن سعيها وكسبها، والله عز وجل يقول **﴿وأن ليس للإنسان إلا ماسعى﴾** [1]، والنبى ﷺ قال: «**أن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه**»[2].

سادسًا: ما خَلَّفه من بعده من آثار صالحة وصدقات جارية لقوله تعالى: **﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾** [3] [4].

---

(١) النجم: ٣٩.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣١، ٤١، ١٢٦، ١٢٧، ١٦٢، ١٧٣، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٠)، وأبو داود (٣٥٢٨ ـ ٣٥٢٩)، والترمذى(١٣٥٨)، والنسائى(٧/ ٢٤١)، والدارمى (٢٥٣٧)، وابن ماجه (٢٢٩٠)، والحاكم (٢/ ٤٦)، والطيالسى (١٥٨٠).

(٣) يس: ١٢.

(٤) للمزيد انظر: أحكام الجنائز للألبانى (١٢ ـ ١٩، ١٦٨ ـ ١٧٨).

وبعـــــد

وبعد . . ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فهذا والحمد لله ما وفقنى الله تبارك وتعالى إليه، وما أعاننى عليه . . ، فإن كان خيرًا فمن الله تبارك وتعالى،وحده،وإن كان غير ذلك فمن نفسى والشيطان.

قال العماد الأصفهانى رحمه الله: ما كتب أحدٌ فى يومه كتابًا إلا قال فى غَدِه: لو زِيدَ كذا لكان أحسن

. . ، ولو حُذِف كذا لكان يُستحسن . .

. . ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل . .

. . ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل . .

. . ، ولو أُضِيفَ كذا لكان أَصْوب . .

. . ، ولو نُقِصَ كذا لكان يُسْتَصْوَب . .

. . ، وهذا من أَعْظَمِ العبر . . ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [1]. . ، ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين﴾[2].

وكتب: مجدى محمد الشهاوى

---

(١) هود: ٨٨. (٢) الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢.

أهم المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ كتب الصحاح والسنن والمسانيد (فى حديث رسول الله ﷺ)

٣ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لابن حجر، ط. السلفية.

٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووى.

٥ ـ بر الوالدين، لابن الجوزى، ط. مكتبة السنة.

٦ ـ مكارم الأخلاق، لابن أبى الدنيا.

٧ ـ مساوىء الأخلاق للخرائطى.

٨ ـ أحكام الجنائز للألبانى.

٩ ـ مختصر بر الوالدين وصلة الرحم، لابن الجوزى، نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية.

١٠ ـ الروح، لابن قيم الجوزية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة